فصـــل

وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله وأجمع عليه سلف الأمة ، من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه عليٌّ على خلقه ، وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون ؛ كما جمع بين ذلك في قوله : ﴿ هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ [الحديد : ٤] **، وليس معنى قوله : ﴿ وهو معكم ﴾ أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة ، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة ، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق ، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان ، والله سبحانه فوق عرشه رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع عليهم ، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته .**

وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ولكن يصان عن الظنون الكاذبة ، مثل أن يظن أن ظاهر قوله : ﴿ في السماء ﴾ أن السماء تقله أو تظله ، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان ؛ فإن الله قد ﴿ وسع كرسيه السماوات والأرض ﴾ [البقرة : آية الكرسي : ٢٥٥] **، وهو الذي ﴿ يمسك السماوات والأرض أن تزولا ﴾** [فاطر : ٤١] **، ﴿ ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ﴾** [الحج : ٦٥] **، ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾** [الروم : ٢٥] .

الشرح :

هذا فصل خصصه الشيخ رحمه الله لتقرير صفتين من صفات الله تقدم ذكرهما وذكر أدلتهما من الكتاب ومن السنة ، ألا وهما علوه تعالى على خلقه واستواؤه على عرشه ومعيته لعباده ، هاتان الصفتان تقدم ذكر الأدلة على العلو والأدلة على المعية فيما أورده الشيخ من النصوص القرآنية وفيما أورده من الأحاديث النبوية ، ولكنه خصص لهاتين الصفتين فصلا خاصا لوجود الاضطراب في هذا المقام وعروض الاشتباه أو كثرة الاشتباه في هذا الأمر .

يقول الشيخ رحمه الله : من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه وتعالى فوق سماواته مستو على عرشه وأنه سبحانه وتعالى مع

عباده ، كما في آية الحديد ؛ فإن الله تعالى قد جمع في آية الحديد بين الأمرين ، بين ذكر العلو والمعية **﴿ هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾** استوى : علا وارتفع واستقر **﴿ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾** .

فمن الإيمان بالله الإيمان بعلوه تعالى وفوقيته على خلقه واستوائه على عرشه ، وأنه تعالى ــ مع ذلك ــ هو مع عباده لا يخفى عليه شيء من أمرهم

فهذا مما أخبر الله به في كتابه وأخبر عنه به رسوله وأجمع عليه سلف الأمة ، إذًا هاتان الصفتان ثابتتان بالكتاب والسنة والإجماع ، ولا منافاة بين هاتين الصفتين ؛ فإنه تعالى مع علوه على خلقه واستوائه على عرشه هو مع عباده ، هو مطلع على عباده رقيب عليهم مهيمن عليهم لا يخفى عليه شيء

من حالهم .

والمعية التي وصف الله بها نفسه ويجب إثباتها له لا تقتضي اختلاطا بالخلق ، لا تقتضي أن يكون الله مختلطا بالخلق وحالا بالخلق ، تعالى الله عن ذلك . يقول الشيخ : فإن هذا المعنى الباطل لا توجبه اللغة .

المعية لا تقتضي اختلاطا ولا حلولا ، وهذا لا توجبه اللغة ، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف هذه الأمة وخلاف ما فطر عليه الخلق ، فالذين لم يفهموا من معيته سبحانه وتعالى لعباده إلا أنه مختلط بهم حال فيهم حتى يقولون إنه مختلط في كل مكان ، هؤلاء مخالفون عن موجب اللغة ، مخالفون لما أجمع عليه سلف هذه الأمة ومخالفون لما تقتضيه الفطرة السوية .

والمعية ، معية المخلوق للمخلوق ، هل تقتضي اختلاطا وحلولا ؟ المثال : هذا القمر فَوْقُ حيث شاء الله سبحانه وتعالى بعيد ، وهو يقارب معنا ، مع المسافر وغير المسافر وهو في مكانه . إذًا معية المخلوق للمخلوق لا تقتضي اختلاطا فكيف بمعية الخالق للمخلوق ؟ .

إذًا يجب أن يعلم أن ما وصف الله به نفسه من علوه ومعيته ــ أو فوقيته ومعيته ــ أن كل ذلك حق على حقيقته ،وأن الله مستو على عرشه حقيقة ، عال على خلقه حقيقة ، وهو معنا حقيقة ، وليس في قولنا إنه معنا حقيقة يتضمن الحلول ، هو معنا حقيقة على ما يليق به ويناسبه ويختص به ، فهو حقيقته . يقول الشيخ : لا يحتاج إلى تحريف وصرف له عن الظاهر ، أبدا ، الله معنا ، نعم هو معنا بعلمه ، وهو فوق سماواته عال على خلقه مستو على عرشه ، وهو سبحانه وتعالى معنا يرانا ويسمعنا ، علمه محيط بنا **﴿ ما يكون**

من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم ﴾ [المجادلة : ٧] .

يقول : (ولكن يصان عن النصوص الكاذبة) يجب أن تصان هذه المعاني ، يصان ما يثبت لله من الفوقية من كونه في السماء ، يصان عن الظنون الكاذبة ، وكذلك المعية تصان عن الظنون الكاذبة ، مثل أن يظن أن معنى أنه في السماء أنه في داخل السماء تقله وتحمله والسماء الأخرى تظله ، تعالى الله . فهذا ظن كاذب وسوء ظن بالله ، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة ؛ فإن أهل السنة والجماعة مجمعون على أن معنى (في السماء) يعني في العلو فوق جميع المخلوقات ، فهو الظاهر الذي ليس فوقه شيء .

وكذلك المعية يجب أن تصان عن الظن الكاذب كظن الحلولية الذين يقولون : معنى أنه معنا أنه في كل مكان ، حال في الطرق ، في داخل الغرف ، في داخل الأمكنة المستخبثة ، حال في كل شيء ، يعني أشبه أن يكون كالهواء الذي يملأ الفراغ في كل شيء ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاهلون والمفترون علوا كبيرا ، سبحانه وتعالى ، سبحان الله عما يصفون .

يشير الشيخ إلى الدليل الدال على امتناع أن يحيط به شيء من مخلوقاته ؛ فإنه سبحانه العلي الأعلى ، وهو العظيم الذي لا أعظم منه ، فالمخلوقات كلها في قبضته **﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ﴾** [الزمر : ٦٧] وهو العظيم الذي وسع كرسيه السماوات والأرض ، وهو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا **﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾** [الروم : ٢٥] .

فهذه العوارض كلها في قبضته تعالى يدبرها كيف يشاء ، يمسك السماوات والأرض أن تزولا ، والسماوات والأرض قائمة بأمره ، ويوم القيامة إذا شاء قبض الأرض وطوى السماوات بيمينه ، قال الله : **﴿ والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ﴾** سبحانه وتعالى عما يشركون .

وفي الحقيقة ينبغي حفظ هذا الفصل ؛ لأن فيه عبارات جيدة تتضمن بيان ما يجب انتهاجه والثبات عليه من إثبات هاتين الصفتين : العلو والمعية ، من الإيمان بذلك ومن الإيمان بالله ومن الإيمان بكتابه ومن الإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم ، الإيمان بعلوه واستوائه ومعيته ؛ فهذا من الإيمان بالله وكتبه ورسله .

فصـــل

وقد دخل في ذلك الإيمان بأنه قريب من خلقه مجيب كما جمع ذلك في قوله : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، **وقوله صلى الله عليه وسلم : ((إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته))** [رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما] ، **وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته ؛ فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته ، وهو عليٌّ في دنوه قريب في علوه .**

الشرح :

هذا الفصل متمم للذي قبله ، ولهذا يقول : (وقد دخل في ذلك) يعني فيما تقدم من الإيمان بعلوه ومعيته ، الإيمان بأنه قريب مجيب ، قال الله : **﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾** فالله تعالى موصوف بالعلو والفوقية كما أنه موصوف بالقرب والمعية ، وكل من هذه المعاني ثابت في النصوص من الكتاب والسنة ، ولا منافاة بين علوه وفوقيته وقربه ومعيته ، لا منافاة بينهما كما تقدم ؛ هو سبحانه وتعالى فوق جميع مخلوقاته مستو على عرشه وفي نفس الوقت هو مع عباده ، وهو قريب من الداعين والعابدين **﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾** .

إذًا فالله تعالى موصوف بهذا كله ولا منافاة بين هذه الصفات ؛ فهو تعالى عليٌّ في دنوه ، مع أنه قريب في علوه ، مع أنه علي هو قريب ، لا منافاة بين علوه وقربه ، علوه ومعيته ، لا منافاة بين علوه وفوقيته

وقربه

.....

ومعيته ، بل هو سبحانه وتعالى عال في دنوه قريب في علوه .

فهذا الفصل مكمل أضاف إليه مسألة القرب ، والكلام فيها مع العلو يشبه الكلام في المعية مع العلو .

فصـــل

ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدا وإليه يعود ،، وأن الله تكلم به حقيقة ،، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام ه حقيقة لا كلام غيره . ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة ، بل إذا قرأه الناس أو

كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة ؛ فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مبلغا مؤديا . وهو كلام الله حروفه ومعانيه . ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف .

الشرح :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

إن هذا الفصل من أعظم فصول هذه العقيدة أهمية ؛ لأنه يتعلق بقضية كبرى ألا وهي مسألة كلام الله التي اضطرب فيها الناس واختلف فيها أهل الضلال وهدى الله إلى الحق فيها أهل السنة والجماعة .

إن هذه المسألة هي التي نشأت عنها الفتنة الكبرى في خلافة بني العباس ، في خلافة المأمون ، فتنة القول بخلق القرآن والمحنة بذلك ، حتى حمل الناس على هذه البدعة أي القول بخلق القرآن ، حملوا على ذلك بالقوة ، وامتحن العلماء وعلى رأسهم إمام أهل السنة الإمام أحمد رحمه الله .

يقول الشيخ رحمه الله : فصل : (ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله) القرآن الكتاب المبين ، القرآن الحكيم والقرآن العظيم ، هذا

القرآن هو كلام الله حقيقة سبحانه حقيقة ، وسمعه منه جبريل وبلغه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين** ﴾ كلام الله حقيقة ، وهذا هو ؛ لأن كل عاقل إذا سمع إضافة الكلام إلى متكلم عقل أنه كلامه ، هذا كلام فلان ، فالقرآن العظيم ، وهو المكتوب في المصاحف المبدوء بالفاتحة المختوم بسورة الناس ، مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور ﴿ **بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم** ﴾ [العنكبوت : ٤٩] .

يقول الشيخ : من الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل من الله ، ﴿ **تنزيل الكتاب من الله** ﴾ [الجاثية : ٢] ﴿ **نزل به الروح الأمين** ﴾ ﴿ **قل نزله روح القدس من ربك** ﴾ [النحل : ١٠٢] منزل غير مخلوق .

هذه عقيدة أهل السنة في القرآن منزل غير مخلوق ، ليس بمخلوق بل هو صفة من صفات الله ، الكلام صفة من صفات الله ، والقرآن من كلام الله تكلم به سبحانه فليس مخلوقاً ، بل منزل غير مخلوق .

خلافا للجهمية والمعتزلة ومن شابههم من القائلين أن هذا القرآن مخلوق ، الله لا يتكلم ، إذًا فالقرآن ليس كلامه حقيقة وإن أضيف إليه فهو من إضافة المخلوق إلى خالقه ، هم يقولون القرآن كلام الله لكنه ليس على معنى أنه تكلم به لكن على معنى أنه خلقه .

وقد صرح سبحانه وتعالى بإضافة القرآن إليه وأنه كلامه ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله** ﴾ [التوبة : ٦] ﴿ **سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا** ﴾ [الفتح : ١٥] .

يقول المعطلة من الجهمية والمعتزلة هذا القرآن مخلوق خلقه الله إما في الهواء أو في نفس جبريل أو كيفما كان .

وأهل السنة يؤمنون بأنه كلام الله حقيقة منزل غير مخلوق ، منه بدا ــ أي ظهر ــ القرآن ظهر من الله وسمع من الله كلاما تكلم به سبحانه كيف شاء ، فالله يتكلم بالوحي كيف شاء ويتلقاه عنه من شاء من ملائكته ، وجبريل هو الموكل بالوحي كما في الآيات العديدة ، ﴿ **نزل به الروح الأمين** ﴾ هو الروح الأمين ، بل قال سبحانه : ﴿ **إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين** ﴾ [التكوير : ١٩ ــ ٢١] .

(منه بدا وإليه يعود) إليه يعود : يعود في آخر الزمان ، يُرفع من المصاحف والصدور كما جاء بذلك كثير من الآثار الدالة على أن القرآن يُرفع ؛ لأنه عند قرب قيام الساعة لا يبقى في الأرض أحد ، لا يبقى فيها من يقول الله الله ، يقبض المؤمنون فلا يبقى في الأرض من يؤمن بالله ، فالقرآن يُرفع قبيل ذلك ، وهذا معنى قول أهل السنة : وإليه يعود . هذه هي العبارة المعبرة عن مذهب أهل السنة والجماعة : أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا وإليه يعود . إذًا القرآن هو كلام الله حقيقة لا مجازا.

وأما الذين ينفون الكلام عن الله مطلقا يقولون : إنه ليس كلام الله حقيقة ، وإضافته إليه من قبيل إضافة المخلوق إلى خالقه ــ كما تقدم .

يقول الشيخ : (ولا يجوز أن يقال عن القرآن أنه عبارة أو حكاية عن كلام الله) . هذا يشير إلى مذهب الأشاعرة ؛ فالأشاعرة يقولون : إن كلام الله معنى واحد نفسي ، ليس بحرف ولا صوت ، كلام معنى في النفس ، كلام الله معنى نفسي واحد قديم قائم بالرب . وأما ما يسمعه الملائكة أو يسمعه الأنبياء

أو هذا القرآن أو غيره من الكتب ، فهذه الألفاظ عبارة أو حكاية ــ قد يعبرون بهذا أو هذا ــ عبارة أي ــ تعبير ــ عن كلامه ، وليس القرآن كلام الله حقيقة بل هو مجاز لأنه عبارة عن كلامه ، أي تعبير عن ذلك المعنى ، تعالى الله عما يقول الجاهلون والغالطون علوا كبيرا .

إنهم بذلك يشبهون الله بالأخرس الذي تكون في نفسه المعاني ويعبر عنها من يفهم إشارته ، فما يتكلم به المعبر هو كلامه يعبر به عن المعنى الذي فهمه من ذلك الأخرس ، أعوذ بالله ، ولهذا أشار الشيخ إلى بطلان قول هؤلاء بقوله : ولا يجوز أن يقال أن هذا القرآن حكاية عن كلام الله أو عبارة ، لا بل هو كلام الله حقيقة ، والكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغا مؤديا ، إنما يضاف الكلام ويقال هذا كلام فلان أو كلام من يضاف إليه ، إنم ا يضاف الكلام إلى من قاله مبتدئاً ، مبتدئاً للكلام لا إلى من قاله مبلغا مؤديا ، فلا يقال إن القرآن كلام م حمد ، هذا قول الكفار ﴿ **إن هذا إلا قول البشر** ﴾ [المدثر : ٢٥] لا يقول إنه كلام محمد أو كلام بشر أو إنه كلام جبريل وإن كان جبريل قد بلغه ومحمد صلى الله عليه وسلم قد بلغه ، وقد أضيف إليهما القرآن بلفظ القول (إنه) أي القرآن (لقول رسول) قول رسول : كلمة (رسول) تنبيء على أن إضافة القول للرسول إضافة ابتداء ، إضافة تبليغ ﴿ **إنه لقول رسول** ﴾ ــ وقد أضيف إلى جبريل ، كما في آيات التكوير ، وأضيف إلى محمد صلى الله عليه وسلم وهو الرسول البشر ، في سورة الحاقة ﴿ **فلا أقسم بما تصبرون ومالا تبصرون إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون** ﴾ [الحاقة : ٣٨ ــ ٤١] ، وهذا يمنع من أن يقال إنه قول جبريل ابتداء ، ابتدأ ه جبريل ، أو أنه ابتدأ ه محمد ؛ لأنه قد أضيف إليهما

فلا يجوز أن يكون كل منهما ابتدأه ، كلا بل كلٌ منهما بلغه ، فإضافتهما ــ إضافة القرآن إلى جبريل الرسول من الملائكة ، أو إلى محمد وهو الرسول من البشر ــ إضافة تبليغ كما ينبيء عن ذلك لفظه ، ﴿ **إنه لقول رسول** ﴾ هذا قول رسول ، إذًا الكلام ليس كلامه ، بل كلام مرسله ، نعم ، و لهذا جاء التنصيص على أنه كلام الله .

وقد أجمع أهل السنة على ذلك ، أجمعوا على أن القرآن كلام الله ؛ لأن من ينفي أن يكون القرآن كلام الله حقيقة ويقول بأنه مخلوق ، إنما يكون ذلك على أصله الفاسد ، وهو أن الله لا يتكلم ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وتقدم أن نفي الكلام عن الله تنقص لرب العالمين ، وسبق التذكير بأن الله بين لبني إسرائيل بطلان إلهية العجل بأنه لا يتكلم ، ﴿ **واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين** ﴾ [الأعراف : ١٤٨] .

ويختم الشيخ هذا الفصل بقوله : فالقرآن هو كلام الله ،حروفه ومعانيه (حروفه ومعاني ه) ليس كلام الله الحروف دون المعاني ، ولا المعاني دون الحروف ، الجهمية والمعتزلة نفاة الكلام مطلقا ، يقولون : القرآن ليس كلام الله ، حروفه ومعانيه ليست كلاما لله ، بل الكل مخلوق ، وأم ا الأشاعرة يقولون : المعنى كلام الله ، أما الحروف فهي معبر عن تلك المعاني .

والحق أن القرآن كلام الله حروفه ومعانيه ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾.

هذه الآية تكلم الله بها ، كيف شاء ، وتلقاها عنه الرسول الكريم جبريل ﴿ **إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين** ﴾ وبلغه للرسول الكريم من البشر محمد صلى الله عليه وسلم ، وهكذا ، فالقرآن كله كلام الله

حقيقة حروفه ومعانيه .

وهكذا سائر الكتب المنزلة ، هي كلامه سبحانه وتعالى ، يعني قبل التحريف ، قد أنزل الله على موسى التوراة ، وأنزل الإنجيل ، قال الله : ﴿ **وأنزل التوراة** ﴾ [آل عمران : ٣] في كتابه ، قارن بين الكتب الثلاثة ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديك وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان** ﴾ الفرقان : هذا الكتاب .

هذا ما يتعلق بهذا الفصل ، وهو فصل مستوفٍ لتقريي المنهج الحق ، لتقريي المنهج الحق في القرآن ، فهذا الفصل ضمنه الشيخ رحمه الله تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن ، المنافية للمذاهب الباطلة .

فصـــل

وقد دخل أيضا فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبملائكته وبرسله ، الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عيانا بأبصارهم كما يرون الشمس صحوا ليس دونها سحاب ، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته ، يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة ، ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى .

الشرح :

وهذا فصل عقده الشيخ لمسألة الرؤية لمزيد العناية بها ؛ لأن مسألة الرؤية أيضا من المسائل التي اتسع فيها الكلام وعظم فيها الاشتباه والافتراق ، فيقول الشيخ : أنه قد دخل فيما تقدم فيما ذكرناه من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، دخل في هذه الأصول الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عيانا بأبصارهم ليست رؤية قلبية كما يقول المحرفون ! لا ، بل بالأ بصار ، عيانا بأبصارهم ، والدليل على هذا نصوص الكتاب والسنة المتواترة وإجماع سلف الأمة ، فهي قضية أيضا تضافرت عليها الأدلة ، يرونه سبحانه وتعالى ، يقول : (يرونه في عرصات القيامة) يعني في ساحات القيامة ومواقفها ، ويرونه كذلك بعد دخولهم الجنة كما يشاء كيفية وزمانا ومكانا ، يرونه كما يشاء لا نحدد إلا في حدود ما صرحت به النصوص الثابتة من نصوص الكتاب أو السنة الصحيحة .

فالمقصود أن الشيخ عقد لبعض هذه المسائل التي سبق ذكر أدلتها فصولاً لأنها مسائل متميزة بالكلام فيها بين فرق الأمة ، بين أهل السنة وبين مخالفيهم ، كما في الفصل الذي تجاوزناه وسنعود إليه إن شاء الله وهو ما

.....

يتعلق بعقيدة أهل السنة والجماعة في كلام الله ومنه القرآن .

هذا وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله

فصـــل

ومن الإيمان باليوم الآخر ، الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت ، فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر ونعيمه ، فأما الفتنة فإن الناس يفتنون في قبورهم فيقال للرجل : من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك ؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، فيقول المؤمن : ربي الله ، والإسلام ديني ، ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيي ، وأما المرتاب فيقول : هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته ، فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان ، ولو سمعها الإنسان لصعق ، ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى فتعاد الأرواح إلى الأجساد ، وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله وأجمع عليها المسلمون ، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا .

وتدنو منهم الشمس ويلجمهم العرق ، فتنصب الموازين فتوزن بها أعمال العباد ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ــ ١٠٣] ، وتنشر الدواوين ، وهي صحائف الأعمال فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ [الإسراء : ١١٣ ــ ١١٤] .

الشرح :

يقول الشيخ : فصل ، الإيمان باليوم الآخر .

الإيمان باليوم الآخر هو أحد أصول الإيمان الستة التي فسر بها الرسول عليه الصلاة والسلام الإيمان ، وهو الأصل الخامس ، الإيمان باليوم الآخر ، أو بتعبير آخر الإيمان بالبعث بعد الموت .

والإيمان باليوم الآخر يدخل فيه أشياء كثيرة مما جاءت في النصوص ، فيدخل في الإيمان باليوم الآخر كل ما أخبر الله به في كتابه ، أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت ، فإنه داخل في الإيمان باليوم الآخر ، والإيمان به من الإيمان باليوم الآخر .

إذًا الإيمان باليوم الآخر لا يختص بالبعث وما بعده ، بل يتناول ما يكون قبل ذلك ، إن الدور ثلاثة : دار الدنيا وهي دار العمل ، ودار البرزخ ، ودار الآخرة .

ودار البرزخ ودار الآخرة كلاهما دار جزاء ، وعلى هذا فيجب الإيمان بما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، من فتنة القبر ، وعذاب القبر ، ونعيم القبر ، وما يكون بعد ذلك من القيامة الكبرى؛ فإن القيامة قيامتان :

- قيامة صغرى ، وهي الموت الذي يكون به الانتقال من دار الدنيا إلى دار البرزخ ، فهذه قيامة صغرى .
- وأما القيامة الكبرى ، فهي التي أخبر الله بها في كتابه ، وعلى لسان رسوله ، وأجمع عليها المسلمون .

فإنه تعالى يبعث الأموات من قبورهم **﴿ وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ﴾** [الحج : ٧] .

فتنة القبر وعذاب القبر ونعيمه ، أحوال من أحوال دار البرزخ ، والبرزخ يعني الحاجز بين الدنيا وبين القيامة الكبرى أو الدار الآخرة ،

﴿ ومن وراءهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] وهو ما بين الموت إلى البعث ، هذا هو دار البرزخ ، فيجب الإيمان بما دل عليه القرآن ، ودلت عليه السنة المتواترة ، من فتنة القبر وعذاب القبر ونعيمه .

فتنة ، إنها الابتلاء ، والمراد من فتنة القبر هو السؤال ، سؤال منكر ونكير للميت ، سؤال الملكين للميت ؛ فإن الميت إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، أتاه ملكان فيقعدانه ويسألانه ، يقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ ، فأما المؤمن فيقول : ربي الله ، وديني الإسلام ، ونبيي محمد ، وأما الكافر فيتلجلج ويحار ويجيب بالحيرة يقول :هاه هاه لا أدري، فـ ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين** ﴾ [إبراهيم : ٢٧] كما قال ذلك سبحانه وتعالى في كتابه ، فهذه الآية فسر فيها التثبيت في الآخرة بالتثبيت في القبر ، ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا في الحياة الدنيا** ﴾ ، بالاستقامة على الإسلام حتى الموت ، ﴿ **وفي الآخرة** ﴾ بالتثبيت عن فتنة القبر .

ولقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : ((إنه أوحي إلى أنكم تفتنون في قبوركم)) تفتنون يعني إنكم تمتحنون بالسؤال ، ((مثل ــ أو قريبا ــ من فتنة المسيح الدجال ، فيقال للرجل : من ربك وما دينك ، ومن نبيك ؟)) إلى آخره .

وبعد هذه الفتنة إما نعيم ، وإما عذاب ، ومن عذاب الشقي أنه تحير في الجواب ، و (قال : سمعت الناس يقولون شيئا فقلت) ، فيوكل به من يضربه بمرزبة من حديد ، (فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان ، ولو سمعها الإنسان لصعق) .

إذًا هذه الأمور تجري في مقربة من الناس ، قريبة جدا ، في القبور والناس قريبون منها ، ولا يدرون شيئا عنها ، فهي من علم الغيب ، والإيمان بها من الإيمان بالغيب مع قربها ، سبحان الله ، أليس مر علينا حديث صاحبي القبرين ، كيف أخبر الرسول بأنهما يعذبان ؟ ، والصحابة معه ولا يدرون شيئا ، أخبر عن تعذيبهما وعن سبب تعذيبهما .

ولكن من حكمة الله أنه ستر أحوال القبور وأهوالها ، وعذاب المعذبين فيها .

وقد جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : ((لو لا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع)) .

لو سمع الناس ما في القبور ــ أعوذ بالله ، نسأل الله العافية ــ لو كشف لهم لما استطاعوا المقام ، ولا طاب لهم عيش ، ولما تدافنوا ، ولفر الناس وهاموا على وجوههم ، إن القبور فيها أمورا عظيمة ، ولهذا جاء في الكثير من النصوص الاستعاذة بالله من عذاب القبر ومن فتنة القبر ، وانظروا كيف أوصانا النبي عليه الصلاة والسلام أن نستعيذ بالله من هذه الأخطار العظيمة في كل صلاة بعد التشهد : ((إذا تشهد أحدكم ، فليستعذ بالله من أربع يقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال)) .

ولو كشف للناس أحوال القبور لما كان لهم ثواب على الإيمان به ؛ لأن الثواب إنما هو على الإيمان بالغيب ، هذا هو الذي فيه الفضل ويتبين فيه المؤمن المصدق من الكافر الجاحد ، الإيمان بالغيب ، ﴿ **هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب** ﴾ [البقرة : ٢ ــ٣] ، ولهذا إذا كشف للناس ، بل إذا عاين

الإنسان مصيره ، انغلق عليه باب التوبة ، فالله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ، ويقبل توبة التائبين ما لم ييأسوا من الحياة ، ويعاينوا العذاب ، كما أخبر الله عن الهالكين من المكذبين ﴿ **فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون** ﴾ [غافر : ٨٤ ــ ٨٥] .

فمن أصول أهل السنة الإيمان بعذاب القبر ، ونعيم القبر ، وفتنة القبر ، وقد أنكر ذلك بعض المبتدعة ، وأنكر ذلك الملاحدة الزنادقة ، ويقولون هذه القبور ، لا نرى فيها شيئاً ، إذاً هم لا يؤمنون إلا بما تدركه حواسهم ، وهم الضالون المضلون ؛ كم من الأمور الموجودة القريبة منا ولا ندركها ، أليس الإنسان قد وكل الله به ملائكة من حوله يكتبون أعماله ويحفظونه ، ولا يدري عنهم شيئاً من ذلك ؟ لا يحس بهم ، وهم معه ، بل إن ملائكة الموت أقرب إلى الإنسان من أهله ، ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب ، وهم لا يدرون .

﴿ **فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون** ﴾ بلغت الروح الحلقوم ﴿ **وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون** ﴾ [الواقعة : ٨٣ ــ ٨٥]

إذاً أحوال القبور ، الإيمان بها من الإيمان بالغيب ، ولا يصح أن يكون عند الإنسان أدنى شك لكونه لا يرى شيئا ، لا يرى ولا يحس هذه الأمور .

وقد يكشف الله لبعض الناس شيئا من أحوال القبور ، كما تواترت به أخباره ، يكشف أحيانا لبعض الناس أشياء ، إما أموراً مسموعة أو أموراً مرئية .

وبعد ذلك ، يبقى الناس في قبورهم ، وفي أحوالهم ، إلى القيامة الكبرى

التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله ، أجمع عليه المسلمون ، فالقيامة الكبرى : البعث بعد الموت ، فالإيمان بها من أصول الإيمان ، ومن أنكر البعث فهو كافر ، ﴿ **زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم** ﴾ [التغابن : ٧] ، والحديث عن البعث في القرآن طويل ومستفيض ومتنوع وكثير وواسع .

يقوم الناس من قبورهم ، وهذه هي القيامة الكبرى ، (تعاد الأرواح إلى الأجساد) ، يجمع شتات الأبدان ، يجمع ما تمزق وتفرق ، ويعاد خلقا جديدا ، **﴿ فقال الكافرون هذا شيء عجيب ءإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ﴾** ، قال الله : **﴿ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ﴾** [ق : ٢ ــ ٤] الأجزاء المتفرقة ، والأوصال المتمزقة ، والعظام النخرة ، هذه يجمعها ربك ، ويرشيها نشأة أخرى ، ويعيد الأرواح إلى أبدانها ، فيقوم الناس من قبورهم ، تشقق عنهم قبورهم **﴿ يوم تشقق الأرض عنهم ﴾** [ق : ٤٤] تنشق الأرض ، نعم كما تنشق عن النبات ، فيدفن النبات في الأرض ، فتنمو هذه البذور ، فتنشق عنها الأرض ، وتخضر ، تخرج الأشجار والثمار ، والله شبه إحياء الموتى ، وإخراجهم من قبورهم ، بإحياء الأرض بعد موتها **﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير ﴾** [الحج : ٥ ــ ٦] ، وفي الآية الأخرى **﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير ﴾** [فصلت : ٣٩] وهذا المعنى في القرآن كثير .

يقومون (حفاة عراة غرلا) حفاة عراة ، غير منتعلين ، غير مكتسين ، غرلا غير مختونين ، **﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾** [الأنبياء : ١٠٤] .

وتسأل أم المؤمنين عائشة ، لما أخبر الرسول بذلك ، قالت : الرجال والنساء ، ينظر بعضهم إلى بعض ؟! قال : ((يا عائشة إن الأمر أشد من أن يهمهم ذلك)) أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

هذه هي أحوال ، ذكر الشيخ جملة منها مما يكون يوم القيامة ، ومن ذلك (تدنو الشمس من رؤوس الخلائق) كما صح بذلك الحديث الصحيح ، فيعرقون على قدر أعمالهم ، فمنهم من يبلغ العرق إلى كعبيه ، ومنهم من يلجمه العرق لجاما .

(تدنو منهم الشمس) ، ولو كانت خلقتهم وطبيعتهم كطبيعتهم في هذه الحياة لاحترقوا ، لكن حياة الآخرة حياة خلقت للبقاء ، إذا ردت الأرواح إلى الأبدان ، فإنها ترد ردا لا انفصال ولا فراق بعد ه .

ومما يكون يوم القيامة نصب الموازين ووزن الأعمال **﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾** [الأنبياء : ٤٧] والآيات في هذا المعنى كثيرة ، والنصوص من السنة الدالة على وزن الأعمال .

وكذلك نشر الدواوين ، وهي صحائف الأعمال ، والآيات في ذلك كثيرة ، كما ذكر الشيخ واحدة منها ، وهي قوله تعالى : **﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾** .

﴿ ألزمناه طائره ﴾ ، ألزمناه عمله ونصيبه .

﴿ في عنقه ﴾ ، ملازم له .

﴿ ونخرج له يوم القيامة كتابا ﴾ كتابا حقيقيا ، الله أعلم بكيفيته .

﴿ كتابا يلقاه منشورا ﴾ ، **﴿ وإذا الصحف نشرت ﴾** مفتوحة .

﴿ اقرأ كتابك ﴾ كتاب قد أحصي على الإنسان فيه كل صغير وكبير ، **﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا وليتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾** ، [الكهف : ٤٩] وكل صغير وكبير يحصى .

كل هذا مما يجب الإيمان به ، وهو داخل في الإيمان باليوم الآخر ، من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بما يكون بعد ذلك من فتنة القبر ، وعذاب القبر ، ونعيم القبر ، والبعث بعد الموت ، وقيام الناس من قبورهم رفات ، ودنو الشمس ، ونصب الموازين ، ووزن الأعمال ، ونشر الدواوين ، كل هذا مما يجب الإيمان به .

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذا كله ؛ لأن منهجهم قائم على الإيمان بكل ما أخبر الله به في كتابه ، وما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم ، إيمان وتسليم ، لا يعارضون شيئاً من ذلك بعقولهم ، أو بعقل فلان ، أو بآراء فلسفية ، أو بأقوال وجدل كلامي ، أبدا ، مذهبهم قائم على التسليم لخبر الله وخبر رسوله عليه الصلاة والسلام ، يؤمنون بذلك كله .

كما جاء عن الإمام الشافعي أنه قال : آمنت بالله وبما جاء على مراده ، وآمنت برسول الله وبماء جاء عن رسول الله ، على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأهل البدع وإن أقروا بالبعث ، فإنهم يقرون بالبعث ، ولكن يقولون

أقوال تخالف موجب ما في النصوص ، وينكرون بعض ما ورد في السنن ، فمنهم ينكر الميزان .

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذا كله ، وبكل ما أخبر الله به في كتابه ؛ فالإيمان بهذه الأمور كله داخل في الإيمان باليوم الآخر .

ويحاسب الله الخلائق ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة ، وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته ؛ فإنه لا حسنات لهم ولكن تعد أعمالهم فتحصى ، فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون عليها .

الشرح :

ومما يكون يوم القيامة من الأمور العظيمة ، الحساب ، فيوم القيامة من أسمائه يوم الحساب ، يوم القيامة له أسماء كثيرة : يوم القيامة ، ويوم الفصل ، ويوم النشور ، ويوم التلاق ، ويوم التناد ، وهكذا ، ويوم الحساب .

الحساب ، هذا هو من أعظم ما يكون يوم القيامة ، يحاسب الله الخلائق ، وهو سريع الحساب ، وهو أسرع الحاسبين ، سبحانه وتعالى .

(يحاسب الله الخلائق) يحاسبهم ﴿ **يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان في أهله مسرورا إنه ظن أن لن يحور بلى إن ربه كان به بصيرا** ﴾ [الانشقاق : ٦ــ ١٥] فمن الناس من يحاسب حسابا يسيرا ، ومنهم من يناقش في

الحساب ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((من نوُقِش الحساب عُذِب)) فقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : (أليس الله يقول : ﴿ **فأما من أوتي كتابه بيمنه فسوف يحاسب حسابا يسيرا** ﴾ ؟) قال : ((إنما ذلك العرض)) عرض الأعمال ، حساب المؤمن الذي غفر الله له ذنوبه ، إنما هو عرض أعماله .

ولهذا أشار الشيخ إلى هذا بقوله : يحاسب الله الخلائق ، ويخلو الله ــ تعالى ــ بعبده المؤمن ، فيقرره بذنوبه ....إلى آخره ، كما وصف ذلك في

الكتاب والسنة ، ولا يعني ، هذه الكلمة عامة ، إشارة إلى دليل قوله : ويحاسب الله الخلائق ، ويخلو بعبده المؤمن ، فمن أخبار يوم الحساب ما دل عليه القرآن كما في الآيات التي ذكرتها ، ومنها ما دلت عليه السنة .

فالفقرة الثانية إنما ثبتت بالسنة ، فالرسول أخبر بأن الله يخلو بعبده المؤمن ويقرره بذنوبه ، ثم يغفرها له ، يقول : سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك ، أو كما جاء الحديث .

وأما الكفار ، يقول الشيخ : فإنه لا توزن أعمالهم ، كما توزن من له حسنات وسيئاته ، وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته ؛ لأنه لا حسنات لهم ، الذي له حسنات وسيئات توزن أعماله فقد ترجح الحسنات ، وقد ترجح السيئات ، فيستوجب العذاب إذا رجحت سيئاته على حسناته ، فالكفار ، يقول الشيخ : لا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته ، بل تحصى أعمالهم فيوقفون عليها ويقرون بها ويجزون بها .

وكأن هذه العبارة تشعر بأن أعمالهم لا توزن ، والقرآن ظاهره ــ والله أعلم ــ أن الكفار توزن أعمالهم فتخف موازينهم ، قال الله : ﴿ **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وه م فيها كالحون** ﴾ [المؤمنون : ١٠٢ ــ ١٠٤] ونظائر هذا في القرآن متعددة .

لكن قال الشيخ : (إنهم لا يحاسبون محاسبة من توزن أعمالهم وسيئاتهم ، بل توزن أعماله م فتخف موازينهم ؛ لأنهم ما لهم حسنات ؛ لأن موازين الحسنات ليس فيها شيء ، فهؤلاء ــ والعياذ بالله ــ يبوءون بالشقاء ، وهم الذين يقولون : ﴿ **ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا**

أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ ، فيقول الله لهم : ﴿ **اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾ [المؤمنون : ١٠٦ ــ ١٠٧] .

نعوذ بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء ، نعوذ بالله من مصير أهل الشقاء ، والله المستعان ، نسأل الله السلامة والعافية .

فصـــل

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، قال رحمه الله تعالى :

وفي عرصات القيامة الحوض المورود للنبي صلى الله عليه وسلم ، ماؤه أشد بياضا م ن اللبن وأحلى من العسل ، آنيته عدد نجوم السماء ، طوله شهر وعرضه شهر ، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا .

وصراط منصوب على متن جهنم ، وهو الجسر بين الجنة والنار ، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم ، فمنهم من يمر كلمح البصر ، ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كالفرس الجواد ، ومنهم من يمر كركاب الإبل ، ومنهم من يعدو عدوا ، ومنهم من يمشي مشيا ،

ومنهم من يزحف زحفا ، ومنهم من يخطف ويلقى في جهنم ؛ فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم .

فمن مر على الصراط دخل الجنة ، فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم بعضا ، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة .

الشرح :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الله ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ، أما بعد : فمما يدخل في الإيمان باليوم الآخر فيجب الإيمان به الحوض لنبينا صلى الله عليه وسلم ؛ فقد تواترت به السنة عنه عليه الصلاة والسلام ، فالرسول عليه الصلاة والسلام أخبر عنه ووصفه ، وصف ما ه ، .....

ووصف مساحته ، ومن ذلك ما ذكره الشيخ ؛ فإن هذا في إحدى الروايات : (طوله شهر وعرضه شهر) ، وفي رواية أخرى تقديرية بمساحات ، كما بين أيلة وصنعاء ، أو بين المدينة وصنعاء ، أو بين مكة وصنعاء ، وروايات كثيرة في مقداره ، المهم أنه حوض عظيم ، ومورد كريم ، ترد عليه هذه الأمة ، ويشرب منه المؤمنون الذين ثبتوا في هذه الحياة على هدى الله ، واستقاموا على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا الحوض شرابه كما سمعتم ، (ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، وأطيب من ريح المسك) و(آنيته) كيزانه ، أكوابه كثيرة جدا ، شبهها النبي صلى الله عليه وسلم بنجوم السماء ، (آنيته عدد نجوم السماء) .

كل هذا مما يجب الإيمان به ، وأهل السنة يؤمنون بهذا كله تصديقا لخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم .

وهذا من فضائل نبينا ، أن الله يظهر فضله ، ويظهر كرامته على سائر الأنبياء بهذا الحوض ، وبكثرة الواردين عليه ، وإنه ليرد عليه أقوام يعرفهم الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويحال بينه وبين الورود ، فالرسول يناديهم ويقول : ((أمتي أمتي أصحابي)) ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، إنهم ما زالوا مرتدين على أعقابهم ، نعوذ بالله من التبديل والتغيير والردة عن الإسلام .

يقول الشيخ : (وفي عرصات القيامة الحوض لنبينا) ، في عرصات القيامة : يعني مواقف القيامة وساحات القيامة .

وذكر الشيخ في هذا الموضع ، للحوض في يشعر بأنه يختار الحوض قبل الصراط ، فإن أهل العلم اختلفوا في الحوض ، هل هو قبل الميزان أو

بعده ؟ وهل هو قبل الصراط أو بعده ؟ .

والأظهر ــ والله أعلم ــ أنه قبل الصراط وبعد الميزان ؛ فإنه يناسب ــ والله أعلم ــ أن يكون وروده بعد الحساب ؛ ليروي ريقهم ويلج نفوسهم بعد المعاناة ، والله أعلم بحقيقة الأمر .

فالمقصود أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بالحوض لنبينا عليه الصلاة والسلام ، فهذا من عقيدة أهل السنة والجماعة .

وكذلك أنكره بعض طوائف المبتدعة ، ولا حجة لهم في ذلك الإنكار إلا الاستبعاد الذي لا مبرر له ، كيف يكون الحوض بهذه المساحة ؟و كيف يكون في عرصات يوم القيامة ؟ والجواب أن الله تعالى على كل شيء قدير .

وإن شراب هذا الحوض يمد من الكوثر ، الذي امتن به الله على نبيه ، وهو نهر في الجنة ، فالكوثر نهر لنبينا في الجنة ، وحوضه الذي في عرصات القيامة ، يمد منه ، وقد ورد في بعض الروايات أنه يصب فيه ميزابان من الكوثر من الجنة .

وكذلك مما يجب الإيمان به ، ويدخل في الإيمان باليوم الآخر ، الصراط وهو جسر منصوب على متن جهنم ، بين الجنة والنار يعبر منه الناس ، ويعبرون عليه ويفتتنون عليه بحسب حالهم في هذه الدنيا ، بحسب سيرِهم ثباتهُم على الصراط الذي نصبه الله للعباد في هذه الحياة .

ففي الدنيا صراط ، ألا وهو دين الله الذي بعث به رسله ، دينه هو الصراط المستقيم ، وهو في حق هذه الأمة هو شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ، فمن كان على دين الله وصراطه المستقيم ، من كان عليه أثبت وفي سيره أسرع ، كان على ذلك كذلك ، ﴿ **جزاء وفاقا** ﴾ [النبأ : ٢٦] فالجزاء

من جنس العمل ، ولهذا يمر الناس عليه ،(منهم من يمر كالبرق) سريع ، نعم هكذا حال الناس في هذه الحياة ، (ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كالفرس الجواد ، ومنهم من يمر كركاب الإبل ومنهم من يعدو عدوا) يسرع ، (ومنهم من يمشي مشيا ، ومنهم من يزحف زحفا) ، ومنهم من لا يسير (يخطف) ، وعلى الصراط (كلاليب تخطف الناس بأعمالهم) ، وفي الحديث : ((فناجٍ مسلم ، ومغموس في النار)) .

يعبر الناس ويمر على هذا الصراط ، فمن عبر تجاوز الخطر ، اللهم نجنا من عذابك يوم لقائك ، من عبر تجاوز ، ولهذا ينبه الشيخ إلى هذا ويقول : (أنه من مر على الصراط دخل الجنة) من أول وهلة دون أن يمسه عذاب ، أما الذين لا يعبرون فإنهم يعذبون ، يسقطون في النار ، وينالهم العذاب .

والله أعلم ، الذي يشعر به سياق النصوص التي وردت في الصراط ، تشعر بأن هذا العبور ، إنما يكون لأهل الإيمان والمنتسبين إلى الإيمان .

أما الأمم الكافرة التي ليس لها عمل تسير به ، وليس لها من عمل صالح ، ولا ذرة من الإيمان ، فهؤلاء ــ والعياذ بالله ــ يتبعون كما جاء في الحديث : ((أن الناس يحشروا يوم القيامة فيقال لكل أمة : لتتبع كل أمة ما كانت تعبد)) ، فيتبع المشركون معبوداتهم ، حتى من كان يعبد المسيح ، يمثل لهم فيتبعونه ، وإلى جهنم ، دون أن يمروا أو يعبروا على الصراط .

المقصود أنه يجب الإيمان بذلك الجسر ، بالصراط ، وبما جاء من عبور الناس وتفاوتهم في المرور ، إنه لمثال لحال الناس في هذه الحياة ، وإنه لعجب ، الناس في سيرهم على صراط لله في هذه الحياة ، هكذا أبدا ، منهم من هو مستقيم ويسير سيرا حثيثاً ، مواصل ليله ونهاره في سيره ، يسير إلى

الله سيرا حثيثاً ، ما يضيع من أوقاته شيء ، وآخر دونه ، وآخر دونه ، وهكذا ، تأملوا ، كل واحد يتأمل واقعه ، ما مدى سيره ، والسير إلى الله في هذه الحياة إنما يكون بسير القلوب ، وبسير الأبدان تبعا فيما يتطلب ذلك .

وبعد المرور على الصراط ، يوقف الناس ، الآن الحديث عن المؤمن ين الذين عبروا ، وتجاوزوا الخطر ، يقفون على قنطرة بين الجنة والنار قبل الدخول ، الإخوة المؤمنون الأحباب يقتص لبعضهم من بعض ، الحقوق التي تكون بين الإخوة ، يذهب الغل ﴿ **ونزعنا ما في قلوبهم من غل** ﴾ [الأعراف : ٤٣] يذهب ، يقتص لبعضهم من بعض ، حتى لا يكون لأحد على أحد شيء أبدا ، وهذا غير المقاصة التي جاء بها في الحديث ؛ أنه يأتي الرجل بالأعمال الصالحة الكثيرة ، فيأتي وقد ضرب هذا ، في حديث المفلس ، فإنه يقتص له من حسناته ، فإن لم تكن له حسنات طرح عليه من سيئاته ثم طرح في النار ، أما هنا يقتص بعضهم من بعض كيف شاء الله سبحانه وتعالى .

فإذا هذبوا ونقوا وكمل طيبهم ، أذن لهم في دخول الجنة ، فيدخلونها طيبين قد طابوا في الدنيا وكمل طيبهم هنا في تلك القنطرة ، كملوا وتهيئوا لدخول الدار الطيبة ﴿ **وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين** ﴾ [الزمر : ٧٣ ــ ٧٤] .

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالصراط على ما جاء في الصراط ، وأما أهل الأهواء فإنهم يحكمون عقولهم ، هذا كذا وهذا كذا ، هذا غير معقول وهذا معقول ، فيحكمون عقولهم في أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ، أما

أهل السنة فيؤمنون ويسلمون ، يعني مذهبهم ومنهجهم قائم على التسليم لله ورسوله لا يعارضون شيئا من ذلك بآرائهم وأهوائهم أو مع قول فلان ورأي فلان .

قال المصنف رحمه الله :

وأول من يستفتح باب الجنة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته ، وله صلى الله عليه وسلم في القيامة ثلاث شفاعات : أما الشفاعة الأولى فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم من الشفاعة حتى تنتهي إليه . وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة ، وهاتان الشفاعتان خاصتان له . وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار ألا يدخلها ، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها .

ويخرج الله من النار أقواما بغير شفاعة بل بفضله ورحمته . ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشيء الله لها أقواما فيدخلهم الجنة .

الشرح :

يذكر الشيخ أيضاً جملة من الأمور التي تكون يوم القيامة والإيمان بها يدخل في الإيمان باليوم الآخر ، فمن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بأن أول من يستفتح باب الجنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، يستفتح فيفتح له فيدخل فيكون أول شخص يدخل الجنة ، وأول من يدخل الجنة من الأمم أمة محمد . فهو أول من يدخل الجنة مطلقا ، ويدخل بعده من شاء سبحانه وتعالى ، وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته ؛ فهو أفضل النبيين والمرسلين وأمته خير الأمم ، كل هذا مما صحت به الأحاديث عن النبي عليه الصلاة والسلام .

وهذه أيضا من خصائصه عليه الصلاة والسلام وفضائله التي يظهر الله بها فضله على رؤوس الأشهاد ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾ [الشرح : ٤] .

الشيخ يقول : إن للرسول عليه الصلاة والسلام ثلاث شفاعات :

- **الشفاعة الأولى** : وهي الشفاعة في أهل الموقف أن يقضى بينهم ، وتسمى الشفاعة الكبرى ، وهي المقام المحمود الذي امتن الله به عليه في قوله : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا** ﴾ [الإسراء : ٧٩] . وفي الحديث في الدعاء بعد النداء : ((من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته)) هذه الشفاعة خاصة به وهي الشفاعة التي يتدافعها الأنبياء أولو العزم حين يأتي الناس لآدم ويتوسلون إليه يطلبون منه أن يشفع لهم عند الله ، ويذكرون ما له من الفضائل وما اختصه الله به : أنت يا آدم ، أنت الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، اشفع لنا عند ربك ؛ ألا تنظر ما نحن فيه ، ألا ترى ما نحن فيه .. إلى آخر ما جاء في حديث الشفاعة الطويل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم . فتنتهي النوبة على النبي عليه الصلاة والسلام فيقول : أنا لها ، فيذهب فيسجد ــ يقول : ((فإذا رأيت ربي خررت له ساجدا)) ــ فيسجد ويحمد ربه بمحامد يعلمه إياها ويفتح بها عليه ، فيقال له : ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع .

هذه الشفاعة الكبرى التي يتراجع عنها الأنبياء ويتقدم لها نبينا محمد عليه الصلاة والسلام لعظيم منزلته عند ربه .

- **والشفاعة الثانية :** شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة ، ويجري نحو ما جرى من تدفع وتراجع الأنبياء عن الشفاعة في ذلك ، فيشفع أيضا لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة ، وفي كل ذلك إظهار لشرفه صلى الله عليه وسلم ، وإعلاء لقدره ، وإظهار لكرمه على ربه .

يقول الشيخ : (وهاتان الشفاعتان ــ الشفاعة في أهل الموقف أن يقضى بينهم ، والشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة ــ هاتان الشفاعتان خاصتان به) أي لا يشركه فيهما أحد من الأنبياء ولا غيرهم .

- **والشفاعة الثالثة :** الشفاعة في أهل الكبائر ، فيشفع فيمن استحق النار ألا يدخلها ، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها ، وهذه الشفاعة تكون لغيره من الأنبياء والصديقين والأنبياء والملائكة ، يشفع الملائكة ويشفع الأنبياء ويشفع المؤمنون ، يعني فيمن دخل النار واستحق النار ، وهذه الشفاعة ــ الشفاعة في أهل الكبائر ــ هي التي ينكرها أهل البدع ، المعتزلة ينكرون هذه الشفاعة والخوارج ؛ لأن ذلك يناقض أصلهم ، وتقدم أن الخوارج والمعتزلة من أصولهم أن أهل الكبائر لابد لهم من دخول النار والخلود فيها ، إذاً تمتنع الشفاعة ، كما تمتنع الشفاعة في المشركين هذا حق ، ﴿ **ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع** ﴾ [غافر : ١٨] مشركون لا تنفعهم شفاعة الشافعين ، عند الخوارج والمعتزلة أن مرتكب الكبيرة كذلك لا تنفعه شفاعة الشافعين ، الله المستعان .

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذا كله ، ويثبتون هذه الشفاعات للنبي عليه الصلاة والسلام وغيرها ، لكن هذه أهمها وأبرزها ، ولهذا الشيخ اختصرها ، فاثنتان خاصتان به والثالثة مشتركة لكن له منها الحظ الأوفر ؛ فإنه ثبت أنه عليه الصلاة والسلام يشفع أربع مرات ، يشفع يقول : ((فيحد لي حدا فأخرجهم من النار)) ثم يعود فيشفع يقول : ((فيحد لي حدا فأخرجهم من النار)) إلى أربع مرات ، وتشفع الملائكة .

ويخرج الله أقواما بغير شفاعة بل بمحض فضله ورحمته سبحانه وتعالى ، والكل من فضله والكل من رحمته ، حتى من يخرج بشفاعة الشافعين هل خرجوا إلا برحمة الله وبفضله ؟ من الذي أذن

للشافع أن يشفع ؟ ومن الذي قبل منه الشفاعة ؟ لكنه سبحانه وتعالى تارة يسدي فضله بسبب يهيئه ويجريه على يد بعض العباد ، وتارة يمنع ويؤتي فضله دون توسط سبب ، والسبب إذا توسط فهو أيضا عائد إلى إرادته تعالى ورحمته وفضله ، فالأمر له أولا وآخرًا ؛ فهو الذي يرحم المشفوع له ويكرم الشافع بالإذن له وقبول شفاعته ، يكرم الشافع فيأذن له بالشفاعة ، ويرحم المشفوع له فينجيه من العذاب بشفاعة من أذن له بالشفاعة وقبلها .

قال المصنف رحمه الله :

وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب والثواب والجنة والنار ، وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء والآثار من العلم عن الأنبياء ، وفي العلم الموروث عن محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك ما يشفي ويكفي ، فمن ابتغاه وجده .

الشرح :

هذه الكلمة من الشيخ أَجْمَل فيها الكلام عن اليوم الآخر بعدما ذكر أشياء مما يكون في يوم القيامة ويجب الإيمان به ويدخل في الإيمان باليوم الآخر ، ختم ذلك بهذه الجملة : أصناف ما تضمنته الدار الآخرة ــ أصناف وأنواع وتفاصيل ما تضمنته الدار الآخرة ــ من الحساب والثواب والجنة والنار ، وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء : التوراة والإنجيل والقرآن وغيرها من كتب الله المنزلة ، كلها تضمنت من هذا ما تضمنته ،وكذلك في المأثور عن الأنبياء ، في آثار كثيرة مأثورة عن الأنبياء الماضية تتضمن أخبارا عن اليوم الآخر ، لكن لا يَثبت شيء من ذلك إلا ما وصلنا بخبر معصوم ، أما الآثار المروية عن الأنبياء والأخبار التي لم تثبت بطريق يجب اعتماده فإنه يصبح الأمر فيه معلقاً على الدليل ، يعني يصبح كحديث بني إسرائيل إما أن يقوم الدليل على كذبه فيرد ، أو على صدقه فيجب الإيمان به ، أو يبقى فلا يصدق ولا يكذب . لكن المأثور عن الأنبياء عن اليوم الآخر هذا حق ثابت ، لكن إذا جاء فيه جزئيات وأشياء تفصيلية فلا بد أن يثبت ذلك .

يقول : وفي المأثور عن نبينا صلى الله عليه وسلم من الأخبار والآثار وفي القرآن ما يشفي ويكفي ، لا نحتاج إلى أن نرجع إلى التوراة والإنجيل ونفتش ، أو في أخبار بني إسرائيل ، لا نحتاج ذلك أبدا ؛ ففي

الكتاب والسنة

.....

الغنى ، فيهما ما يشفي ويكفي ، اقرؤوا القرآن ماذا تجدون فيه من الحديث عن اليوم الآخر ؟ بل إنه لم يأتِ من تفاصيل اليوم الآخر في الكتب المنزلة مثل ما جاء في القرآن ، والاستشهاد على ذلك يضيق عنه الوقت .

وكذلك سنة النبي صلى الله عليه وسلم فيها من الأخبار والآثار مما يتعلق باليوم الآخر الشيء الكثير .

(وفي العلم الموروث عن محمد صلى الله عليه وسلم) هذا يشمل ما في الكتاب وما في السنة ، كله مأثور في العلم الموروث عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، في ذلك العلم ما يكفي ويشفي ، فمن ابتغاه وطلبه وجده ، فهو موجود وميسر ولله الحمد ، ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ [القمر : ١٧] .

قال المصنف رحمه الله تعالى :

وتؤمن الفرقة الناجية ــ أهل السنة والجماعة ــ بالقدر خيره وشره ، والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين .

الشرح :

يقول الشيخ : وتؤمن الفرقة الناجية المنصورة أهل السنة والجماعة تؤمن بالقدر خيره وشره .

نلاحظ أن هذا هو الأصل السادس ، وأن الشيخ أشار إلى بعض ما يتعلق بالإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ثم انتهى إلى الكلام عن الأصل السادس وهو الإيمان بالقدر ، فالفرقة الناجية المنصورة تؤمن بالقدر خيره وشره ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم : ((الإيمان أن تؤمن بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)) .

تؤمن بالقدر : يعني بتقدير الله للأشياء قبل كونها ، تقدير الخير والشر ، والأشياء المقدرة فيها خير وشر ، فالقدر يطلق ويراد به التقدير السابق ، يعني تقدير الله للأشياء في علمه وكتابه ، ويطلق القدر على الشيء المقدر ؛ تقول : هذا قدر ، تعني الحادث ، وتقول : هذا قدر ، يعني أمر مقدر، فكل الأشياء قدر ، قيامك قدر وقعودك قدر ومشيك قدر ، وأكلك وشربك كله قدر ، يعني مقدر ، الحوادث التي تحدث كلها قدر . قدر بمعنى مقدر ، يعني سبق به علم الله وكتابه ، والصحة قدر ، والمرض قدر ، كلها قدر .

ولهذا لما سئل النبي عليه الصلاة والسلام عن الأدوية والرقى ، قالوا : هل ترد من قدر الله ؟ قال : ((هي من قدر الله)) الأدوية والرقى هي من قدر الله . ولما رأى عمر رضي الله عنه وكثير من الصحابة الرجوع عن الشام لما بلغهم أنه قد نزل بها الطاعون ، قال بعض الناس : يا أمير المؤمنين تفر من

قدر الله ؟ قال : نفر من قدر الله إلى قدر الله .

وجاءت السنة موافقة لما وفق له أمير المؤمنين رضي الله عنه ومن معه ، الرسول أخبر وأمر أن من سمع أن الطاعون في أرض فلا يقدم عليها ، وإن كان فيها فلا يخرج منها فرارا منه أو فرارا من القدر ــ وأنا أريد أن أتحدث عن موضوع القدر إجمالا حتى نقرأ النص ونكون قد فرغنا .

يقول الشيخ : إن الإيمان بالقدر ــ وكا ن من المناسب لو قال الشيخ : فصل ؛ لأنه انتقال إلى موضوع جديد ــ ومن أصول أهل السنة الإيمان بالقدر ، وتؤمن الفرقة الناجية ــ ونلاحظ أن الشيخ ميز هذا المقام بتعبير ؛ لأن الإيمان بالقدر ومسألة القدر هي من المسائل الكبار التي تباينت فيها مذاهب الأمة ــ الإيمان بالقدر على درجتين وكل درجة تتضمن شيئين :

الدرجة الأولى : الإيمان بأن الله علم ما يكون قبل أن يكون ، بعلمه القديم الأزلي ، وعلم ما العباد فاعلون من الطاعات والمعاصي ، كل ذلك معلوم للرب بعلمه القديم . هذه المرتبة الأولى من الإيمان بالقدر ، لابد في الإيمان بالقدر من الإيمان بها ، الإيمان بعلم الله السابق ، هذا شيء .

والشيء الثاني : الإيمان بأن الله كتب مقادير الأشياء عنده في كتاب وهو اللوح المحفوظ وهو أم الكتاب وهو الكتاب المبين ، أو الإمام المبين ، كتب ذلك بقلم المقادير ، كما في الحديث الصحيح : ((

قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة)) ، وفي الحديث الآخر : ((كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر ــ أيضا من أسماء اللوح المحفوظ : الذكر ــ ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] .

إذًا كتب الله مقادير الأشياء ، جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فكل ما يكون ، كل ذلك مكتوب ﴿ **وكل صغير وكبير مستطر** ﴾ [القمر: ٥٣] ﴿ **وعنده مفاتح الغيب** ﴾ [الأنعام : ٥٩] يعني من أدلة هذه المرتبة أو المرتبتين ــ العلم والكتاب ــ قوله تعالى : ﴿ **ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب** ﴾ [الحج :٧٠] فجمع بين العلم والكتاب ، ذكر الأمرين ، ذكر علمه تعالى بكل شيء واشتمال الكتاب على كل شيء ﴿ **ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك** ﴾ يعني كل ما في السماء والأرض هو ﴿ **في كتاب** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾ كل ما جرى ويجري في هذا الوجود فهو مكتوب في اللوح المحفوظ ، على سبيل المثال : كل ما يجري في الإنسان من أمور ومن أفعال ومن تصرفات ومن أحوال من صحة ومرض وهم وحزن ومن أجل أو رزق ، من سعة رزق أو ضيق رزق أو سعادة أو شقاوة ، كل ذلك مكتوب .

هذا في الكتاب الأول ، والتقدير الأول تقدير عام ، وهناك تقديرات أخرى : تقدير يتعلق بآدم ، أو بآدم وذريته قبل أن يخلق الله آدم بأربعين عاما ، كما في الصحيح في محاجة آدم وموسى ، قال آدم : فبكم وجدت مكتوبا عليَّ وعصى آدم ربه فغوى . وفي بعض الروايات : أتلومني على أمر قد قدره الله عليّ قبل أن أخلق بأربعين عاما ؟ .

وتقدير ثالث ، وهو تقدير يتعلق بكل فرد ، كل فرد له تقدير يخصه ؛

كما في الحديث الصحيح المتفق على صحته : أنه عندما يبلغ الجنين أربعة أشهر ويتم له مائة وعشرين يوما يأتيه الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات ، بكسب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد .

فهذا تقدير آخر يختص بكل إنسان ، بكل نفس ، كل إنسان له تقدير خاص : تقدير يكون عند نفخ الروح فيه ، وتقدير حولي ، وهو ما يكون في ليلة القدر ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين**

فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾ [الدخان : ٣ــ ٤] وسميت ليلة القدر لأن الله يقدر فيها ما يكون في السنة من ليلة القدر إلى مثلها من السنة إلى السنة . فهذه تقديرات لا تناقض التقدير الأول والكتاب الأول ، لا تتناقض معه والله تعالى حكيم .

الدرجة الثانية من الإيمان بالقدر : الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن هذا الوجود لا يكون فيه من حركة ولا سكون ولا تقديم ولا تأخير ولا وجود صغير ولا كبير إلا بمشيئته ، أبدا ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . وهذه المرتبة مضمونها الإيمان بعموم مشيئة الله ؛ أن مشيئة الله عامة لا يخرج عنها شيء ، لا أفعال العباد ولا الحيوان ولا غيرها .

والشيء الثاني من الدرجة الثانية : الإيمان بأنه تعالى خالق كل شيء وأنه على كل شيء قدير ، فهو خالق السماوات والأرض ومن فيهن وما بينهما ، من الذوات والصفات والأفعال ، خالق العرش وما دون العرش ، كل ذلك خلقه ، الله خالق كل شيء .

إذا الإيمان بالقدر لا يتم إلا بهذه الأمور الأربعة وتسمى مراتب الإيمان بالقدر . الإيمان بالقدر لابد أن يشتمل على هذه المراتب الأربع ؛ فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالقدر على هذا الوجه بمراتبه الأربعة ، وأما المنكرون

للقدر فهم طائفتان :

- غلاة أنكروا العلم والكتاب ، يقولون : إن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وجودها ، ومعنى هذا أنه لم يقدر الأشياء ولم يكتب ما سيكون ، كما ينكرون عموم المشيئة وعموم الخلق ، ويخرجون عن مشيئة الله وخلقه ــ يخرجون من ذلك أفعال العباد بل وأفعال الحيوان . فهذا مذهب قدمائهم وغلاتهم ، أي قدماء القدرية .
- أما المتوسطون منهم فينكرون المرتبة الثالثة والرابعة ، وهي عموم المشيئة ومنهم المعتزلة ، فالمعتزلة ينكرون عموم المشيئة وعموم الخلق ، فيخرجون أفعال العباد عن مشيئة الله ، فعندهم أن أفعال العباد ليست بمشيئة الله والعبد يتصرف بغير مشيئة الله ، والله لا يقدر على أن يغير من حال الإنسان شيئا ، فيتضمن ذلك تعجيز الرب ــ تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ــ ويخرجون أفعال العباد عن ملكه .

فمضمون قولهم أنه تعالى ليس له الملك كله ، وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأنه تعالى له الملك كله وله الحمد كله سبحانه وتعالى .

قال المصنف رحمه الله تعالى :

والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين :

فالدرجة الأولى : الإيمان بأن الله تعالى عليم بما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به قدماً وأزلا وأبدا . وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال . (١)

ثم كتب (٢) **الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق فأول ما خلق الله القلم قال : اكتب . قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة . فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه . جفت الأقلام وطويت الصحف ؛ كما قال تعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ [الحج : ٧٠] ، وقال : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾ [الحديد : ٢٢] ، وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا ؛ فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء ، وإذا خلق جسد الجنين قبل خلق الروح فيه بعث إليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات فيقال له : اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ، ونحو ذلك . فهذا التقدير قد كان ينكره غلاة القدرية قديما ومنكروه اليوم قليل .**

الشرح :

هؤلاء الغلاة ينكرون العلم والكتاب وينكرون ما ينكره غيرهم من عم وم المشيئة وعموم الخلق .

قال المصنف رحمه الله تعالى :

وأما الدرجة الثانية فهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة ، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه ما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه . لا يكون في ملكه ما لا يريد وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات . فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه ، لا خالق غيره ولا رب سواه .

---

(١) هذه المرتبة الأولى .

(٢) هذه المرتبة الثانية .

الشرح :

أيضا يجب مع الإيمان بالقدر وبما يشتمل عليه من الأمور الأربعة التي نقول إنها مرا تب الإيمان بالقدر ــ يجب الإيمان بالشرع ؛ فإن الناس اختلفوا في هذا المقام فمنهم من آمن بالشرع وأنكر القدر وهم القدرية كالمعتزلة وغيرهم . ومنهم من آمن بالقدر وكفر بالشرع أو أعرض عن الشرع ولم ينظر إليه وهم الجبرية الذين يقولون : الإنسان مُجْبَر على أفعاله ، وشرهم الذين يعارضون الشرع بالقدر ، ومنهم المشركون الذين يقولون : لو شاء الله ما أشركنا ، فعارضوا دعوة الرسل محتجين بالقدر .

وطائفة قالوا : إن الشرع والقدر فيهما تناقض ، فطعنوا في حكمة الرب ، وتسمى هذه الطائفة التي تطعن في حكمة الرب وتعارض بين الشرع والقدر و إن أثبتتهما ، تسمى الإبليسية ؛ فزعيمهم في هذا إبليس ؛ فهو الذي مع إقراره بالشرع والقدر فإنه اعترض على الرب في ذلك وطعن في حكمته فكان هو إمام هذه الطائفة المخذولة .

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذا كله ، يؤمنون بالقدر وبما اشتمل عليه من الأمور الأربعة ويؤمنو ن بالشرع ، يؤمنون بأن الله أمر عباده ونهى ،

فأمرهم بالإيمان وبالطاعات ، ونهاهم عن الكفر والفسوق والعصيان ، وأنه تعالى يحب المتقين والمقسطين والتوابين والمتطهرين ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب الفساد ولا المفسدين ، ولا يرضى عن القوم الفاسقين .

إذاً هذه المخلوقات منها ما هو مبغوض ــ هذا هو موجب الأمر في الشرع ــ منها ما هو مبغوض ومنها ما هو محبوب ، منها ما هو مبغوض ومسخوط ومنها ما هو مرضي ومحبوب ، فيجب مع الإيمان بالقدر الإيمان بالشرع ، والإيمان بالشرع يتضمن ما ذكر من الفرق بين ما يحبه الله وما يبغضه الله سبحانه وتعالى . ويتضمن إثبات الأسباب كذلك ، فلابد من إثبات الأسباب ، إثبات أن الأسباب مؤثرة بإذن الله ، ويدخل في ذلك الإيمان بأن العباد فاعلون حقيقة وأن لهم مشيئة واختيارا خلافا للجبرية ، وأن الله تعالى خالق قدرتهم وأفعالهم ــ كما تقدم الإشارة إلى هذا عند ذكر وسطية أهل السنة والجماعة بين الجبرية والقدرية .

والمقصود أنه لابد مع الإيمان بالقدر الإيمان بالشرع ، ولا يستقيم أمر العبد وإيمانه إلا بهذا وهذا ، فمن أنكر واحدا منهما ضل عن الصراط المستقيم ، ومن غفل عن واحد منهما كذلك . لابد من النظر إلى الأمرين جميعا ووضع كل من الأمرين في موضعه .

فعند المصائب عليك أن تنظر إلى القدر وتؤمن بقضاء الله ولا تتسخط قضاء الله وقدره ، وعند المعائب والمعاصي عليك أن تنظر إلى الشرع فتلوم نفسك وتستغفر وتتوب إلى ربك وتراجع نفسك وتندم .

أما من نظر إلى القدر عند المعاصي فإن ذلك يهونها عليه ويجعله لا يبالي بمعصية الله ، بل يقدم عليها ويستخف بها .

فلا يستقيم أمر العبد ، بل لا يستقيم أمر الحياة ، ولا يستقيم أمر الناس إلا بمراعاة هذا وهذا ، فمن أنكر واحدا منهما أو أعرض عن واحد منهما انحرف في سلوكه وفي تصرفاته ، وفسد من حاله وفسد من أمور المجتمع بحسب ما وقع من الخلل في ذلك .

قال المصنف رحمه الله تعالى :

ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته .

وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا يحب الكافرين ، ولا يرضى عن القوم الفاسقين ، ولا يأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب الفساد .

والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالقهم ، والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم ، وللعباد القدرة على أعمالهم ، ولهم إرادة ، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال تعالى : ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ [التكوير : ٢٨ ــ ٢٩]

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية ، الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة ويغلوا فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره ، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها .

الشرح :

(والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم) هذا تقسيم لقوله : (والعباد فاعلون حقيقة ، ما داموا هم الفاعلين حقيقة إذًا العبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمطيع والعاصي ...) إلى آخره .

(وللعباد القدرة على أعمالهم ولهم إرادة) للجبرية .

(والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم) للقدرية النفاة .

(وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية) هذه الدرجة التي تتضمن الإيمان بعموم مشيئة الله وعموم قدرته وخلقه ، الدرجة هذه يكذب بها

.....

ـ

عامة القدرية غلاتهم ومتوسطوهم .

(ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره) الجبرية ؛ فالجبرية يغلون في إثبات القدر ، فهم يقرون بعموم مشيئة الله ، وبعموم قدرته ، وخلقه ، لكنهم غلوا حتى سلبوا العبد قدرته واختياره .

(ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حِكَمَها ومصالحها) يعني مما يتضمنه مذهب القدرية نفي الحكمة ، فعندهم أن كل ما هو ممكن فإنه يجوز على الرب سبحانه وتعالى ، وهو يتصرف بزعمهم بمحض المشيئة لا لحكمة ، فهو يجعل هذا طائعا وهذا عاصيا أو يعذب هذا أو ينعم هذا أو يأمر بكذا أو ينهى عن كذا ، كل ذلك بمحض المشيئة ، فلا فرق عندهم بين أمره بالتوحيد ونهيه عن الشرك . وعندهم

أنه يجوز العكس ، يعني يجوز أن يأمر عبداً بالشرك وينهى عن التوحيد . وأن تنعيمه للمؤمنين والصالحين في الجنة وتعذيبه للكافرين ، كل هذا بمحض المشيئة ، ليس في شيء من ذلك حكمة ، وهذا معنى قول الشيخ:(ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه ــ أحكامه الشرعية وأحكامه الكونية ــ يخرجون عنها حكمها ومصالحها) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وصلى الله وسلم وبارك على نبيا محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، قال رحمه الله تعالى :

فصـــل

ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل ، قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح ، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي ، كما قال سبحانه في آية القصاص : ﴿ فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، **وقال : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾** [الحجرات: ٩ــ١٠] ، **ولا يسلبون الفاسق الملِّيَّ الإسلام بالكلية ، ولا يخلدونه في النار كما تقول المعتزلة ، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق ، كما في قوله تعالى : ﴿ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾** [النساء : ٩٢] ، **وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ﴾** [الأنفال : ٢] ، **وقوله صلى الله عليه وسلم : ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة ذات**

شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤ من)) [الحديث رواه الشيخان] ، ونقول : هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب الاسم .

الشرح :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

يعقد الشيخ رحمه الله هذا الفصل لبيان منهج أهل السنة في ثلاث مسائل ، وفي الحقيقة أنه سبقت الإشارة إلى بعضها ، عند الكلام في وسطية أهل السنة والجماعة بين فرق الأمة .

المسألة الأولى : ما يتناوله اسم الإيمان ، يعني مسمى الإيمان ، ما هو الإيمان ؟ .

يقول الشيخ ، رحمه الله : (من أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل) قول وعمل خلافا للمرجئة الذين يقولون أنه التصديق فقط تصديق القلب هو الإيمان ، وأما الأعمال فليست من الإيمان .

أو تقول الجهمية : هو المعرفة . والمعنى متقارب .

وخلافا للكرامية الذين يقولون : الإيمان هو التصديق باللسان ، فمن صدق بلسانه فهو مؤمن ، يعني في الدنيا ، وإن كان مخلدا في النار يوم القيامة ، لكنه ليس في الحقيقة بمؤمن ، بل هو منافق ، هذا اسمه الشرعي ، من صدق بلسانه وأظهر الإيمان بلسانه ، فليس بمؤمن في الحقيقة ﴿ **وما هم بمؤمنين** ﴾ [البقرة : ٨] .

فأهل السنة يقولون : إن الإيمان قول وعمل ، للأدلة الكثيرة التي دلت على هذا ؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم فسر الإيمان في حديث جبريل

بأصوله الستة ، وهي اعتقادية ، ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ...)) إلى آخره ، وفسر الإيمان في حديث وفد عبد القيس بأمور عملية ، قال لهم : ((أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم)) .

ففسره بنحو تفسيره للإسلام ، ففسره بأمور عملية ، وأبلغ من هذا قوله صلى الله عليه وسلم : ((الإيمان بضع وستون شعبة ، فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)) .

وقال كثير من الأئمة : الإيمان قول وعمل ، ردا على المرجئة الذين يقولون : هو مجرد قول القلب ، اعتقاد القلب وإقرار اللسان ، المرجئة ، يسمون مرجئة الفقهاء ، فالإمام أبي حنفية ومن تبعه

يقولون : الإيمان هو تصديق القلب وإقرار اللسان ، وأئمة أهل السنة ينكرون هذا القول وما هو أبعد منه ، فيقولون : الإيمان قول وعمل .

ولهذا يقول الشيخ : (أن من أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل) ثم يفسر هذا بقوله : (قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح) ، يعني أن الإيمان يشمل هذه الأمور الخمسة ، وأنه اسم لهذه الأمور الخمسة :

١ ــ قول القلب ، يعني اعتقاد القلب ، التصديق .

٢ ــ وقول اللسان : الذي هو الإقرار ، كما يقر الكافر عند إسلامه ، ويقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

٣ ــ وعمل القلب : كمحبة الله ورسوله وأوليائه ، ومحبة ما يحب ، والخوف من الله والرجاء والتوكل على الله سبحانه .

---

٤ ــ وعمل اللسان : كثير ، كالذكر بأنواعه ، تلاوة القرآن ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

٥ ــ وعمل الجوارح : كالصلاة من الركوع ، مثل ما في الصلاة من عمل الجوارح ، فالصلاة مشتملة على أقوال وأعمال ، كالقيام ، والركوع ، والسجود ، هذه كلها أعمال جوارح ، ومثل الحج ، الطواف بالبيت ، وسائر المناسك ، هي من أعمال الجوارح .

فالإيمان يشمل كل ذلك ، ((الإيمان بضع وستون شعبة)) ، فالصلاة من الإيمان ، والزكاة من الإيمان ، والصيام من الإيمان ، والحج من الإيمان .

(قول القلب واللسان) هذا تفصيل ، لما ذكر قول أهل السنة فصله بقوله : (قول القلب واللسان) يعني اعتقاد القلب وإقرار اللسان .

(وعمل القلب واللسان والجوارح) وهذا أتم من قول من يقول : إن الإيمان اعتقاد بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان ، صحيح أن هذا يرد مذهب المرجئة ، لكن ما ذكره الشيخ من الأمور الخمسة يستوعب كل جوانب الإيمان .

وهذا هو الحق الذي لا ريب فيه ، أن الإيمان قول وعمل ، خلافا من المرجئة من الجهمية والأشاعرة و غيرهم .

خلافا للمرجئة ، وخلافا لكل من أخرج الأعمال عن مسمى الإيمان ، فالأعمال من الإيمان ، وأدلة ذلك ظاهرة بينة لمن تدبر نصوص الكتاب والسنة

المسألة الثانية : أن الإيمان يزيد وينقص ، وكثير من المرجئة يقول أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، بل هو واحد ، ما دام أنه هو التصديق ، فهو لا يزيد ولا ينقص ، شيء واحد . وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن

الإيمان يزيد وينقص ، وما دخلته الزيادة يدخله النقص ، إذا خلا عن الزيادة ، فإنه ينقص ، ﴿ **وليزدادوا إيمانا مع إيمانهم** ﴾ [الفتح : ٤] ، ﴿ **وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ [الأنفال : ٢] ، ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

فالإيمان يزيد ، التصديق بالقلب يزيد بالقوة ، يقوى ويضعف ، والإيمان يزيد بالطاعة ، فكل من كان أطوع لله ، كان إيمانه أكمل ، وينقص بالمعصية ، وهذا هو المعقول ، أفيكون إيمان التقي المستقيم على طاعة الله ظاهرا وباطنا كإيمان المنتهك لحرمات الله ؟ !! أيكون إيمان آحاد المؤمنين كإيمان الكمل من المؤمنين ، كأبي بكر وعمر ، فضلا عمن فوقهم ؟!! .

فالإيمان يزيد وينقص ، وهذا يشعر به من أوتي علما وبصيرة ، وتفطن لحاله ، يشعر بزيادة الإيمان ونقصه ، بالإقبال ، وبقوة الخوف من الله ، وقوة التوكل ، فالخوف يقوى ويضعف ، والتوكل يقوى ويضعف ، والرجاء يقوى ويضعف ، كل ذلك يزيد وينقص ، هذا في أحوال القلوب فضلا عن الأعمال الظاهرة .

وكما تقول المرجئة أن الإيمان واحد ، وأهله فيه سواء ، كذلك الخوارج والمعتزلة عندهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، بمعنى أنه كل لا يتجزأ ، فإذا فات منه جزء أو فقد منه جزء ، زال الكل .

وعند أهل السنة لا يزول كل الإيمان بزوال بعضه .

أما الخوارج والمعتزلة ، فيقولون : يزول الإيمان بزوال بعضه .

إذًا لا يزول الإيمان بزوال كله فالإيمان شعب كما يقول الحديث، ومنها

شعب يزول الإيمان بزوالها ، وشعب لا يزول الإيمان بزوالها ، وإلا لوقع الناس في حرج عظيم .

المسألة الثالثة : حكم مرتكب الكبيرة ، فأهل السنة والجماعة لا يكفرون بمطلق المعاصي ، لا يكفرون أهل القبلة ، وكل من أظهر الإسلام ، ولم يأت بناقض من نواقض الإسلام ، فهو من أهل القبلة ، كما في الحديث : ((من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فله ما لنا ، وعليه ما علينا)) أو ((فهو المسلم ، له ما لنا وعليه ما علينا)) ، فهؤلاء هم أهل القبلة ، فكل الطوائف التي لم يحكم

بكفرها فهم من أهل القبلة ، والمنافقون هم من أهل القبلة بالظاهر ، وإلا فهم المنافقون ليسوا من المؤمنين ، بل هم مع الكافرين ﴿ **إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا** ﴾ [النساء : ١٤٠] ﴿ **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولم تجد لهم نصيرا** ﴾ [النساء : ١٤٥] .

فأهل السنة (لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي) ، فالمعاصي أنواع ، معاص توجب الكفر ، نوا قض الإسلام ، فالاستهزاء بآيات الله ، وبرسول الله كفر﴿ **يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآيته ورسوله كنتم تستهزءون** ﴾[التوبة:٦٤ــ ٦٥] والسب ، سب الدين ، سب الإسلام ، سب الرسول صلى الله عليه وسلم ، هذه ذنوب ، يخرج بها الإنسان عن الإسلام ، ولهذا يقول الشيخ : (أن أهل السنة لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي) خلافا للخوارج ؛ فإن الخوارج يكفرون بالذنوب ، والمعروف أنهم يكفرون مرتكب الكبيرة ، فمن ار تكب

كبيرة من كبائر الذنوب ، خرج عن الإسلام وصار من الكافرين ، حلال الدم والمال ، ويصير مرتدا ، كالسارق ، والزاني ، وشارب الخمر ، وما إلى ذلك عندهم أنهم كفار .

أما أهل السنة ، فإنهم لا يكفرون بهذه الذنوب ، بل أخوة الإيمان باقية مع المعاصي ، القاتل أخٌ للمقتول ، أليس الله قال في آية القصاص : ﴿ **فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف** ﴾ .

﴿ **فمن عفي له** ﴾ ، يعني القاتل الذي عفي له ، ﴿ **من أخيه** ﴾ يعني من دم أخيه المقتول ، فالقاتل والمقتول أخوان في الإسلام ، وإن كان القاتل عاصيا ظالما ، وهذا مظلوم ، ولكن هذا لا تزول معه أخوة الإيمان ، ومثل هذا آية الحجرات : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما** ﴾ إلى أن قال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ .

بل إن أهل السنة (لا يسلبو ن الفاسق الملي الإسلام بالكلية) ، (الفاسق) من المسلمين ، (الملي) منسوب إلى ملة الإسلام ، (الفاسق الملي) نسبة إلى الملة الإسلامية ، الملة القيمة ، لا يسلبونه الإيمان كما تفعل الخوارج ، وكما تفعل المعتزلة ، الخوارج لا يقتصرون على سلبه الإيمان ، بل يسلبونه الإيمان ويكفرونه ، أما المعتزلة فإنهم يسلبون الإيمان ، وأهل السنة لا يكفرونه ، بل ولا يسلبونه الإيمان ، (ولا يخلدونه في النار) يوم القيامة ، بل هو (الفاسق الملي) يوم القيامة تحت مشيئة الله ، إن شاء الله غفر له ، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم يخرجه من النار برحمته سبحانه وتعالى وبشفاعة الشافعين من أهل طاعته ، وكل ذلك من فضله وكرمه وإحسانه .

فأهل السنة أيضا لا يسلبون الفاسق الملي الإيمان ، كما تفعل المعتزلة ، ولا يخلدونه في النار كما تقول الخوارج والمعتزلة .

فالفاسق يقول الشيخ : (أن الفاسق قد يدخل في الإيمان المطلق في بعض الآيات ، وقد لا يدخل في بعض الآيات) ؛ ففي قوله تعالى : ﴿ **فتحرير رقبة مؤمنة** ﴾ [النساء : ٩٢] هذه يدخل فيها الفاسق ؛ فليس من شرط الرقبة التي أمر الله بتحريرها ، ليس من شرطها كمال الإيمان ، بل يجزيء تحرير رقبة لإنسان ذكر أو أنثى معه أصل الدين ، أصل الإيمان ، ولهذا الرسول عليه الصلاة والسلام قال للجارية التي أراد سيدها أن يعتقها ، قال لها النبي عليه الصلاة والسلام :((أين الله ؟)) ، قالت : في السماء . إذاً هي مؤمنة بالله وأنه في العلو خلافا للمعطلة الحلولية ، قال : ((من أنا ؟)) ، قالت : أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ((أعتقها فإنها مؤمنة)) .

وقد لا يدخل الفاسق الملي في الإيمان المطلق في بعض النصوص ؛ كقول الله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أولئك هم المؤمنون حقا** ﴾ [الأنفال : ٢ــ ٤] فالفاسق الملي لا يدخل في مثل هذه الآية ، لا يدخل فيمن هذه صفاتهم ، ﴿ **أولئك هم المؤمنون حقا** ﴾فالفاسق الملي ليس مؤمنا حقا ، وإنما هو مؤمن في الجملة .

كما لا يدخل في اسم الإيمان في قوله صلى الله عليه وسلم : ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)) الإيمان الكامل الذي يمنع من مقاربة هذه الفواحش ، فمن يقدم على الزنا أو السرقة أو الانتهاب ، لا يقدم على ذلك وهو مؤمن إيمان المؤمنين الكمل الذين يمنعهم إيمانهم عن اقتراف المعاصي وإن

كان معه أصل الإيمان ، الزاني وهو يزني ، لا يزول عنه أصل الإيمان ، فلو زال عنه أصل الإيمان صار مرتدا ، ولو مات قبل أن يتوب كان كافراً ، وهذا قول الخوارج ، لا ، هو معه الأصل ، ولكن يزول عنه الإيمان الكامل الذي يمنع من الإقدام على الفاحشة ، ومتى يعود له إيمانه ؟ إذا تاب ، إذا تاب عاد إليه ما كان معه من الإيمان ، عاد بالتوبة ، نعم يعود إليه الإيمان ، أما إنه مادام مصر اً ، لا يعود إليه الإيمان ، أي مصر على مقارفة الزنا أو السرقة أو الشرب ، أو غير ذلك .

فإذا تاب رجع إليه إيمانه الذي كان عليه .

يقول الشيخ في ختام هذا الفصل في بيان حكم الفاسق ، وهو مرتكب الكبيرة ، العاصي من المسلمين ، يقول : ــوهو تعبير أهل السنة عن الفاسق ــ يقول : (يقولون : أنه مؤمن بإيمانه) يعني هو مؤمن بما معه من الإيمان ، فاسق بكبيرة ، عنده جانب طاعة وجانب معصية .

(هو مؤمن ناقص الإيمان) إذًا هو مؤمن ناقص الإيمان .

يقول الشيخ : (فلا يعطى الاسم المطلق) فيقال هو مؤمن (ولا يسلب مطلق الاسم) فلا يقال : هو ليس بمؤمن ، ليس بمؤمن هذه فيها سلب لمطلق الإسلام ، لمطلق اسم الإيمان ، فلا يعطي الاسم المطلق ، بحيث أنه يوصف بالإيمان الكامل ويقال أن هذا مؤمن ، ولهذا لما أعطى الرسول رجالاً ولم يعط واحداً ، قال له أحد الصحابة : إنك لم تعط فلاناً ، وإني لأراه مؤمنا ، قال : أو مسلما ، ردد ذلك عليه ثلاثة ، ففرق بين الإيمان والإسلام ، الإسلام يصدق على سائر المسلمين ، كل من شهد بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ولم يأت بناقض من نوا قض الإسلام فهو مسلم ، فاسم الإسلام أعم وأوسع

دائرة ، فكل محسن مؤمن مسلم ، وكل مؤمن مسلم ، وليس كل مؤمن مؤمناً الإيمان الكامل ، وإن كان معه حسن الإيمان ، لا إسلام إلا بإيمان ، فلا يكون الإنسان مسلما عن حقيقة إلا ومعه أصل الإيمان ، إيمان القلب .

فهذا تقرير مذهب أهل السنة والجماعة ، في هذه المسائل الثلاث :

- في مسمى الإيمان وما يتناوله هذا الاسم .
- وفي زيادة الإيمان ونقصانه .
- وفي حكم مرتكب الكبيرة ، أو الفاسق الملي ، بأي تعبير .

وقد أشار إلى مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك ، ومذهب الخوارج ، ومذهب المعتزلة ، فأهل السنة والجماعة يخالفون هذه الطوائف فيما ابتدعوه من الأسماء والأحكام ، فمرتكب الكبيرة حكمه في الدنيا أنه مؤمن ناقص الإيمان ليس بكافر ، ولم يخرج عن الإيمان مطلقا ، وفي الآخرة هو تحت مشيئة الله ، كما تقدم ، وهذا هو موجب عدل الرب سبحانه وتعالى ، فلا يساوي بين من آمن به وبرسله مع ارتكاب بعض الذنوب ، وبين من كفر به وبرسله ، الله تعالى لا يساوي بين هؤلاء وهؤلاء ، كما لا يساوي بين العاصي الفاسق المجتريء على حرمات الله وبين المتقين ﴿ **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار** ﴾ [ص : ٢٨]

فصـــل

ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله به في قوله تعالى : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذي سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ [الحشر : ١٠] وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : ((لا تسبوا أصحابي ؛ فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)) [الحديث متفق عليه] .

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم ، ويفضلون من أنفق قبل الفتح ــ وهو صلح الحديبية ــ وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل ، ويفضلون المهاجرين على الأنصار ، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر : (اعملوا ما شئتم فإني غفرت لكم) ، وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ، كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ، بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة ، ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كالعشرة وثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة .

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ويثلثون بعثمان ويربعون بعلي رضي الله عنهم ، كما دلت عليه الآثار ، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر ــ أيهما أفضل ، فقدم قوم عثمان وسكتوا وربعوا بعلي ، وقدم قوم عليا ، وقوم توقفوا لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم علي .

وإن كانت هذه المسألة ــ مسألة عثمان وعلي ــ ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة ، ولكن التي يضلل فيها مسألة الخلافة ، وذلك لأنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله .

ويحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يوم غدير خم : ((أذكركم الله في أهل بيتي)) [رواه مسلم] ، وقال أيضا للعباس عمه ، وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم ، فقال : ((والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي)) [رواه الإمام أحمد وغيره] ، وقال : ((إن الله اصطفى بني إسماعيل ، واصطفى من بني إسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم)) [رواه أحمد ومسلم] .

ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين ، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة خصوصا خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده ، وأول من آمن به ، وعاضده على أمره ، وكان لها منه المنزلة العالية ،، والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم : ((فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)) [رواه البخاري ومسلم] .

ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم ، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل ، ويمسكون عما شجر بين الصحابة .

الشرح :

وهذا فصل ضمنه الشيخ رحمه الله ، منهج أهل السنة والجماعة في أصحاب الرسول ، وقرابة الرسول ، وأزواج الرسول صلى الله عليه وسلم .

أمر الصحابة صار قضية عقيدية ، وقد افترق فيهم الناس كما تقدمت الإشارة هذا في الكلام على وسطية أهل السنة ، وأن أهل السنة وسط في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين الرافضة والخوارج .

ومنهج أهل السنة والجماعة يتضمن هذه الأمور التي ذكرها الشيخ ؛ فمن أصول أهل السنة في هذا الباب ، (سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم) سلامة قلوبهم من بغض الصحابة ، ومن الغل والحقد عليهم ، فقلوبهم سليمة ليس فيها غل على أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا يبغضون أحداً منهم ، وكذلك ألسنتهم سليمة ، لا يسبون ولا يتبرؤون من أحد منهم ، بل أنهم يحبون أصحاب رسول الله بقلوبهم ، ويثنون عليهم بألسنتهم ، ويدعون الله لهم ، كما وصف الله أولئك ، أعنى التابعين لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، قال الله فيهم :﴿ **والذين جاءوا من بعدهم** ﴾ يعني من بعد المهاجرين والأنصار

﴿ **يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم** ﴾ [الحشر : ١٠] هذا يدل على محبتهم لمن قبلهم من المهاجرين والأنصار ؛ لذلك يدعون لهم بالمغفرة ، ويسألون ربهم أن يطهر قلوبهم من الغل ، ﴿ **ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم** ﴾ ، وإن كان هذا المعنى مشروعاً من المؤمنين لإخوانهم عموما ، ولكن أحق الناس بذلك ، هم الصدر الأول ، هم أصحاب

الرسول صلى الله عليه وسلم ، أحق بسلامة القلوب لهم .

وكذلك أهل السنة والجماعة يطيعون الرسول صلى الله عليه وسلم أكمل طاعة في قوله صلى الله عليه وسلم : ((لا تسبوا أصحابي ؛ فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)) ، قال هذا عليه الصلاة والسلام لبعض الصحابة الذين تأخر إسلامهم بعد الفتح ، وهو خالد بن الوليد ، لما كان بينه وبين عبد الرحمن بن عوف بعض الاختلاف ، فقال عليه الصلاة والسلام لخالد : ((لا تسبوا أصحابي)) ، فالصحبة مراتب ، فبعض الصحابة أكمل صحبة من بعض ، فالسابقون الأولون ليسوا كالمتأخرين ، ليسوا كالذين تأخر إسلامهم ، وهذا كذلك ينسحب على من جاء بعد الصحابة .

فقوله : ((لا تسبوا أصحابي)) وإن ورد على هذا السبب ، فإنه يتضمن نهي من جاء بعدهم عن سب أصحاب الرسول ، سبحان الله ، إذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام : ((سباب المسلم فسوق)) المسلم أي مسلم ، ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)) فكيف بسب أحد من أصحاب الرسول ؟ ، فكيف بسب أفاضل الصحابة وأكابر الصحابة ؟ ، وقد باء بهذا الإثم الطائفة المخذولة الشقية ، الطائفة الرافضة ، باءوا بهذا الإثم ، فهم شر طوائف الأمة ، وأشدها بغضا وسبا وظلما لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قال الشيخ في آخر الكلام : (ويتبرؤون) أهل السنة والجماعة (من طريقة الروافض) الذين يسبون الصحابة ، و (من طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل) .

ومن تفاصيل هذا الأصل أن أهل السنة يقدمون المهاجرين على

الأنصار ، يعني أن أهل السنة يؤمنون بفضل الصحابة ، ويحبونهم ، وينزلونهم منازلهم ، فـ الصحابة متفاضلون بعضهم أفضل من بعض ، لذلك أهل السنة يقدمون المهاجرين على الأنصار ؛ لأن الله قدمهم في الذكر ، فأي آية يذكر الله فيها المهاجرين والأنصار ، فإنه تعالى يقدم المهاجرين ، ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار** ﴾ [التوبة : ١٠٠] يقدمون المهاجرين على الأنصار .

كما أنهم يؤمنون بكل ما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام ، بل بكل ما جاء في الكتاب والسنة من فضائل الصحابة ، المتعلقة بفضائلهم عموما وخصوصا .

فيؤمنون ويصدقون بقوله صلى الله عليه وسلم : ((لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم ؛ فقد غفرت لكم)) فيؤمنون بفضل أهل بدر ويعرفون لهم هذه الفضيلة العظيمة .

كما أنهم يؤمنون بما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام ، بقوله : ((لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة)) هؤلاء أهل بيعة الرضوان ، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة ، الذين قال الله فيهم : ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم** ﴾ من ماذا ؟ من الصدق

في الإيمان ، ونصرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والصدق في مبايعته﴿ **فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا** ﴾ [الفتح : ١٨] بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك الموقف ، بايعوه على الموت ، أو بايعوه على ألا يفروا ، ففازوا بهذا الوعد ، وفازوا بهذا الثناء ، ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** ﴾ هؤلاء هم أهل بيعة الرضوان ، إنها بيعة لا يدركها

أحد ، وفضيلة لا يدركها أحد بعدهم .

كما أن من تفصيل مذهب أهل السنة والجماعة في أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم (يفضلون من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، على من أنفق من بعد الفتح وقاتل) والمراد بالفتح ، هو صلح الحديبية ، وليس المراد به كما يتبادر لكثير من الناس أنه فتح مكة ، لا ، بين الفتحين قريب من سنتين ، فالفتح هنا هو صلح الحديبية ، وهو الذي أنزل الله فيه ﴿ **إنا فتحنا لك فتحا مبينا** ﴾ [الفتح : ١] وكان إرهاصا لفتح مكة ، كان صلح الحديبية سببا أوليًّا لفتح مكة أخيرا ، وهذه المفاضلة نبه الله بها بقوله : ﴿ **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى** ﴾ [الحديد : ١٠] لكن مع الفارق ، الذين أنفقوا وقاتلوا في أيام الشدة وقلة النصير ، لا يساويهم ولا يدانيهم من أنفق بعد ما قويت شوكة الإسلام ، وظهر دين الله ، ﴿ **وكلا وعد الله الحسنى** ﴾ الكل ، لكن مع التفاوت والتفاضل ، الذي لا يقدر قدره إلا الله : ﴿ **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى** ﴾ .

وكذلك من منهج أهل السنة والجماعة أنهم يعرفون لقرابة الرسول صلى الله عليه وسلم إذا اقترنت بالإيمان ، فيحفظون وصية النبي عليه الصلاة والسلام في أهل بيته حين قال يوم غدير خم : ((أذكركم الله في أهل بيتي)) صلى الله عليه وسلم ، أهل بيته قرابة القربى الأدنون ، وقرابته القربى هم بنو هاشم ، ثم قريش على مراتبهم لهم حظهم وشرفهم من قرابة النبي صلى الله عليه وسلم ، بقرابتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن هذه الفضيلة

لا تتحقق إلا مع الإيمان .

فإذا لم يتحقق الإيمان ، فلا تنفع الأنساب ؛ فأبو لهب وأبو طالب لم تنفعهما قرابتهما من النبي صلى الله عليه وسلم ، حين كذبا دعوته ولم ينقادا له .

وقال عليه الصلاة والسلام حين شكا إليه العباس أن قريشاً تجفو بني هاشم ، قال : ((والله لا يؤمنون حتى يحبوكم لله)) يعني لإيمانكم ، ((ولقرابتي)) .

فمن كان من قرابة النبي ، فإنه قد اجتمع له فضل الصحبة وفضل القرابة ، كعلي رضي الله عنه ؛ فهو من سادات القرابة ، ومن السابقين الأولين ، وأفضل قرابة النبي صلى الله عليه وسلم .

وكذلك من منهج أهل السنة والجماعة ، أنهم يتولون أزواجه ويحبون أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهن أمهات المؤمنين ، ويؤمنون بأنهن أمهات المؤمنين ، وأنهن زوجاته في الآخرة .

فهم يعرفون لزوجات النبي فضلهن ، لهن فضل الصحبة ، وفضل صلتهن بالنبي ، ﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم** ﴾ [الأحزاب : ٦] ، هن أمهات المؤمنين .

وهذه الأمومة ، أمومة حرمة وكرامة ، وليست الأمومة القرابة التي ينبني عليها ما يبن ى من أحكام ميراث وغيره .

﴿ **وأزواجه أمهاتهم** ﴾، وقال سبحانه في نفس هذه السورة : ﴿ **يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض** ﴾ إلى قوله : ﴿ **واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله**

والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا ﴾ [الأحزاب : ٣٢ ــ ٣٤] قبل ذلك ، ﴿ **وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾ إلى آخره .

وهذه الآية تدل ــ على الصحيح ــ على أن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته ، بل هن أولى من يدخل في هذا الاسم الشريف ،

﴿ **إنما يريد الله ل يذه ب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا** ﴾ .

يقول شيخ الإسلام : (خصوصا خديجة وعائشة) ، فخديجة أم أكثر أولاده ؛ لأنها أولى زوجاته ، أولى أمهات المؤمنين ، وهي أم أكثر أولاده ، وهي من أسبق السابقين إلى الإسلام ، وعائشة التي قال فيها الرسول عليه الصلاة والسلام : ((فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)) ، والثريد هو الخبز باللحم ، وهو من أفضل الطعام ، ((كفضل الثريد على سائر الطعام)) وأهل السنة مختلفون في المفاضلة بينهم ا ، فقوم فضلوا عائشة ، وقوم فضلوا خديجة ، ومنهم من قال : إن هذه أفضل من وجه ، وهذه أفضل من وجه .

وعندي والله أعلم أن القول بتفضيل خديجة ، أنه قول قوي لأدلة كثيرة على فضلها ، وكلهن فضليات ، رضي الله عنهن .

كذلك من المسائل الكبيرة التي تدخل في هذا الأصل ، أن أهل السنة يؤمنون ويقبلون (ما تواتر عن علي رضي الله عنه ، وعن غيره من أن أفضل هذه الأمة أبو بكر ، ثم عمر ، ويثلثون بعثمان ، ويربعون بعلي) ،

فأهل السنة والجماعة قائلون بأن أفضل الصحابة هم الخلفاء الراشدون ، وأن ترتيبهم في الفضل على ترتيبهم في الخلافة .

فأفضل هذه الأمة على الإطلاق أبو بكر ثم عمر ، وهذا بإجماع المسلمين الأولين والآخرين ، بإخراج طائفة الروافض .

فأفضل هذه الأمة أبو بكر ، ثم عمر ، وقد يقول الشيخ أن أهل السنة قد وقع بينهم خلاف في القديم في المفاضلة بين عثمان وعلي ، (فقوم قدموا عثمان ، وسكتوا ، وربعوا بعلي ، وقوم قدموا علياً ، وقوم توقفوا) ، يعني فمن أهل السنة من فضل عثمان على علي ، ومنهم من فضل علياً ، ومنهم من توقف .

لكن استقر أهل السنة على تفضيل عثمان على علي ، وأن ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل على ترتيبهم في الخلافة ، هذا هو الذي استقر عليه أمر أهل السنة والجماعة ، وهذا يعني أن الخلاف قد ارتفع ، وأجمع أهل السنة أخيرا على هذا الأمر ، على تقديم عثمان على علي ، فأفضل الصحابة هم الخلفاء الراشدون ، وترتيبهم في الفضل ، على ترتيبهم في الخلافة .

لكن يجب أن يفرق بين مسألة المفاضلة بين عثمان وعلي ، وبين الطعن في خلافة عثمان ، ولا يلزم من تفضيل علي على عثمان ، الطعن في خلافة عثمان ؛ فمسألة تفضيل عثمان على علي ، يقول الشيخ :(ليست من المسائل التي يضلل المخالف فيها) أما في مسألة الخلافة (فمن طعن في خلافة واحد من الخلفاء الراشدين ، فهو ضال أضل من حمار أهله) .

فمن طعن في خلافة عثمان ، وقال : أنه تقديم للمفضول ، وإنه كان على محاباة لبعض الصحابة ، وأن عثمان قد هضم حقه ، فإنه ضال مضل ،

وقد قال بعض السلف : من طعن في خلافة عثمان ، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار ؛ لأن المهاجرين والأنصار قد اتفقوا على تقديم عثمان ، وهذا حجة لما عليه جمهور أهل السنة ، واستقر عليه أمرهم من تقديم عثمان على علي في الحكم .

فهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ومنهجهم في أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، سلامة قلوبهم وألسنتهم ، محبتهم ، إنزال كلٍّ منزلته ، وهذا هو العدل ، محبتهم والإيمان بفضائلهم وبكل ما جاء في الكتاب والسنة من الإخبار في فضائلهم ومناقبهم .

كما لا يفوتني أيضا ، أن أهل السنة والجماعة يشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كالعشرة ، وهم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وأبو عبيدة بن الجراح ، هؤلاء هم العشرة .

وكذلك غيرهم ؛ فالمبشرون بالجنة كثير ، ومنهم ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهم الحسن والحسين ، ومنهم ، ومنهم كثير ، وهذه بشارات على وجه التعيين فلان ، وفلان ، وفلان .

وتقدم أنه ممن يشهد له بالجنة كل من بايع تحت الشجرة ، أهل بيعة الرضوان كلهم ، قال فيهم الرسول عليه والسلام : ((لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة)) .

هذا يقتضي أن أهل السنة والجماعة يقفون مع النصوص ، ويدورون مع النصوص ، ويؤمنون بكل ما أخبر الله به في كتابه ، أو أخبر به الرسول

صلى الله عليه وسلم ، وهو الصادق المصدوق الذي ﴿ **ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ [النجم : ٣] فكل ما أخبر به فهو حق من عند الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، قال رحمه الله تعالى :

ويمسكون عما شجر بين الصحابة ، ويقولون إن هذه الآثار المروية في مساوئهم منها ما هو كذب ، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه ، والصحيح منه هم فيه معذرون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون ،، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره ، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة ، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب لمن بعدهم ؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم ، وقد ثبت بق ول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم خير القرون ، وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا ممن بعدهم ، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه ، أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي هم أح ق الناس بشفاعته ، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه ، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران ، وإن أخطئوا لهم أجر واحد والخطأ مغفور ، ثم القدر الذي ينكر من فعلهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح ، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء ، لا كان ولا يكون مثلهم ، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله .

الشرح :

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

تقدم ذكر جملة من المسائل التي يتضمنها منهج أهل السنة والجماعة في أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن منهجهم وطريقتهم القويمة السليمة ، أنهم يمسكون عما شجر بين الصحابة ، يمسكون عن الخوض فيما وقع من الخلاف والنزاع والحروب ، يمسكون عن ذلك ، يعني لا يخوضون ، ولا يتكلمون ، فلا يجعلون ما جرى بين الصحابة حديثا يتسلون به ، فضلا عن أن يتذرعوا به إلى الطعن في أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل يمسكون ولا يخوضون في هذا ، بل يعرضون عنه ، ويغفلون عنه ؛ لأن هذا مع ما في الخوض فيه من المفاسد ، فإنه أيضا يؤلم قلوب المؤمنين ، فلا يحبون التكلم فيه والتشاغل به ، بل إذا تذكروا ذلك ، أو ذكر لهم كفوا وزجروا من يخوض في ذلك ، ويبادرون إلى الدعاء لأصحاب الرسول ، والترضي عنهم ، والدعاء لهم بالمغفرة ، كما جاء في قوله سبحانه : **﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذي سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾** [الحشر : ١٠] .

إذًا لا يخوضون في هذا ، لا كلاما ، ولا كتابا وتأليفا ، فتسطير ما جرى بين الصحابة لا خير فيه ، اللهم إلا من يكتب للرد على المبطلين ، وإذاعة الشبه ، فيكون هذا الكلام ، وهذا التأليف ليس مقصودا لذاته ، لا يقصد به مجرد الأحاديث التاريخية والخوض الذي تسجى به الأوقات ، ويؤدي إلى تسويد القلوب .

ومن أحسن ما أثر في هذا قول لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ورحمه ، لما ذكر له ما جرى بين الصحابة من حروب ، كما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، وبين علي والزبير وطلحة ومن معهما ، رضي الله عنهم ، قال : تلك دماء طهر الله منها يدي ، فلا ألوث بها لساني ، أو كما قال رحمه الله ورضي عنه ، وهذا معنى عظيم .

فهذا أصل يجب التفطن له ، والتمسك به ، بل إ ن هذا المعنى هو الواجب نحو المسلمين وما يكون بينهم ، ينبغي الكف عن مساويهم ، فكيف بأصحاب رسول الله الأخيار خير هذه الأمة ؟!.

ثم يقولون من هذا الأصل ، يقولون : ما أثر وما نقل من مساوئ الصحابة ، من تلك الحروب أو من غيرها ، (منها ما هو كذب) ، فإن الأخبار التاريخية كثير منها كذب ، وإن كان الأصل منها واقعاً ، لكن التفصيلات منها ما هو كذب .

(ومنها ما زيد فيها ونقص وغير عن وجهه) هذا قسم : منها ما هو كذب ، (ومنها ما زيد منها ونقص وغير عن وجهه ، والصحيح منه ــ والصحيح مما أثر من مساويء الصحابة ــ هم فيه معذرون

مأجورون ، إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون) فهم مأجورون بأجر أو أجرين ، هكذا يجب الكف والتماس العذر ، الكف عن الخوض في مساويهم ، والتماس العذر فيما ثبت وما لا يثبت يرد من أول وهلة ، ما لم يثبت لا ينظر فيه ، لكن ما ثبت مخرج على هذا الوجه ، مخرج على أن ما وقع هو اجتهاد .

ولا يعني هذا أن الصحابة معصومون ، بل أهل السنة لا يقولون : إن

أحداً من الصحابة معصوم ؛ فالصحابة ليسوا بمعصومين ، العصمة إنما هي للرسول صلى الله عليه وسلم ، أما الصحابة فليسوا بمعصومين ، بل تجوز عليهم الذنوب ، فهم بشر تعرض لهم العوارض النفسية ، وتحصل من أحدهم الذلة ، والله تعالى يقول : ﴿ **إن الذين اتقوا** ﴾ اتقوا ، المتقون قد يذنبون ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾ [الأعراف : ٢٠١] ويقول تعالى في صفة المتقين ، وهو سبحانه يعد الصحابة في أول وأعلى درجات المتقين من هذه الأمة بعد نبيها ، يقول الله في صفة المتقين : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون** ﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

وإذا علم هذا ، فما يقدر من الذنوب ، وما يقع منهم من ذنوب ، يغفر لهم ، أو عندهم من أسباب المغفرة ما ليس عند غيرهم .

فما يقدر أنهم وقعوا فيه ، فإنه يغفر لهم ، إما بالتوبة ، وهم أحرى بها ، وإما بالحسنات الماحية أو المصائب ، هذه مكفرات الذنوب لهم ولغيرهم ، ولكنهم هم أولى بها ، ونصيبهم منها أعظم وأكبر ، فيكون قد تاب منه ، أو بحسنات ماحية ، أو بمصائب وابتلاء ابتلي به في الدنيا ، أو يغفر له بشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام ، الذين هم أحق بشفاعته كما يقول الشيخ ، نعم هم أحق بشفاعته صلى الله عليه وسلم مع أن ما يقدر من ذلك ، وما يصدر عنهم ــ إن صدر ــ هو نزر قليل في جانب الحسنات ، وفي جانب فضائلهم ؛ فإن لهم سوابق ، ولهم فضائل لا يلحقهم فيها غيرهم ، كيف وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((لا تسبوا أصحابي ؛ فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد

ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)) كيف وهم الذين قال فيهم الرسول عليه الصلاة والسلام : ((خير الناس القرن الذي بعثت فيه)) ومن هم ؟ هم الصحابة رضي الله عنهم .

فالمقصود أن الواجب هو الكف عن مساويء الصحابة ، والتماس العذر لهم ، وتذكر ما لهم من الفضائل والسوابق ، وما لديهم من أسباب المغفرة ، وما يكون منهم من ذنوب ؛ فإن ذلك مغمور في جانب حسناتهم وفضائلهم .

وختاما يقول الشيخ : (إن من نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة) بعلم وبصيرة ، وبصدق وعدل ، (علم يقينا أنهم خير الخلق ــ الناس ــ بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم) لا كان ولا يكون مثلهم ، هم خير الناس ، وهذا يستفاد مما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام ، أن هذه الأمة هي خير الأمم ، فإذا كانت هذه الأمة خير الأمم والصحابة خير هذه الأمة ، تبين أن الصحابة خير الناس ب عد الأنبياء ، ولهذا قال الشيخ:(لا كان ولا يكون مثلهم) لا كان في الماضي مثلهم ، ولا يكون في آخر الزمان مثلهم .

وأما ما ورد في صفة الغرباء وأجر الغرباء ، وأن للعامل في أيام الصبر أجر خمسين من الصحابة ، فهذا محمول عند أهل العلم على الفضل المقيد ، يعني لهم أجر خمسين في صبرهم على البلاء ، والصبر على تسلط الأعداء ، لا أن لهم أجر خمسين من الصحابة في كل عمل ، فيكونون بهذا أفضل من الصحابة ، لا ، بل هؤلاء الذين لهم أجر خمسين أفضل من الصحابة في خصلة من خصال الدين ، وفضيلة من الفضائل ، فلا يكونون بهذا أفضل من الصحابة مطلقا ، بل هم أفضل من الصحابة في هذه الخصلة وفي هذه الفضيلة ؛ فالتفضيل المقيد لا يوجب الفضل المطلق .

قال المصنف رحمه الله تعالى :

ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله ع لى أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات ، والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة ، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة .

الشرح :

وهذا أصل من أصول أهل السنة ، التصديق بكرامات الأولياء ، يعني الإيمان بكرامات الأولياء حق ، وهي ما يجري الله على أيدي أولياءمن خوارق العادات في العلوم والمكاشفات ، والقدرة والتأثيرات

كالذي حكاه الله عن بعض أولياءفي سورة الكهف ، أصحاب الكهف من أولياء الله ، ومما جرى لهم من خوارق العادات أنهم مكثوا في كهفهم مدد اً طويلة دون أن يموتوا بقوا أحياء مع ما مضى عليهم من السنين ﴿ **ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا** ﴾ [الكهف : ٢٥] ومع ذلك يقومون ويرد بعضهم إلى بعض ﴿ **وكذلك بعثناهم ليتسألوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً**

أو بعض يوم ﴾ [الكهف : ١٩] وهذا خارق للعادة ، لو نام إنسان مدة طويلة ، هلك ومات ؛ لأن جسمه يحتاج إلى الغذاء ، ينفد وقوده ، وتنفد طاقته ، ولكن هؤلاء مكثوا سنين ، ومع ذلك بقوا أحياء ، ﴿ **ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴾** [الكهف : ١٨] يتقلبون .

وكذلك ما أجرى الله على يد الخضر ، على القول بأنه ولي لا نبي ، من الوقائع الثلاث التي استعظمها موسى : خرق السفينة ، وقتل الصبي وتقويم الجدار ، كل ذلك من خوارق العادات التي أجراها الله على يد عبده الخضر .

.....

فأهل السنة يؤمنون بكرامات الأولياء إجمالا ، لكن لا يثبتون إلا ما صح ، إنما يصدقون بما صح منه ، لكن من أصولهم الإيمان والتصديق بما ثبت وبما صح من كرامات الأولياء ، وهم بهذا يخالفون أهل البدع كالمعتزلة الذين ينكرون كرامات الأولياء .

والأخبار مستفيضة في هذا الشأن ، وقد حكى الناس ، وحكى المؤرخون أمورا كثيرة ، ومنها ما يشاهد بين حين وآخر ، وهي مستمرة ، فكرامات الأولياء يجريها الله على أيديهم ، لم تزل ولا تزال جارية من صدر هذه الأمة إلى أن تقوم الساعة ، والله تعالى يجري كرامات الأولياء تقوية لإيمان بعضهم ، وسدا لحاجة بعضهم ، قد يقع العبد الصالح في ضرورة فيحدث الله له أمرا خارقا للعادة يكشف به ضرورته .

فما صح من ذلك وثبت ، وجب الإيمان به ، وتصديق الصدق ، أما ما لم يثبت فإنه يتوقف فيه ، لا نقول بأن هذا فعلا وقع ، ما يحكى عندنا نتوقف فيه ، نقول : جائز .

فصـــل

ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا ، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل بدعة ضلالة)) .

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم .

ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس ، ويقدمون هدي محمد صلى الله عليه وسلم على هدي كل أحد ، ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة وسموا أهل الجماعة ؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة ، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين ، والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين ، وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين ، والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة .

الشرح :

كذلك من طريقة أهل السنة ، اتباع آثار النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به ظاهرا وباطنا ، واتباع آثار السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وهذا ما أمر الله به عباده ، أمر باتباع الرسول **﴿ واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾** [الأعراف : ١٥٨] ، **﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾** ،

وقال : **﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ﴾** [التوبة : ١٠٠] فهذه طريقتهم .

(واتباع آثار السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين))) فهم متبعون لسنة الرسول ، معظمون لها ، مستمسكون بها .

وكذلك سنة الخلفاء الراشدين وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، فما سنه هؤلاء مما لم يخالفوا فيه ، لم يختلفوا ، ولم يعارضوا فيه ، ولم يخالف دليلاً من الكتاب والسنة ، فإنه كذلك نحن مأمورون نحن باتباع هذه السنة ، سنة الخلفاء الراشدين ، بوصيته عليه الصلاة والسلام : ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين)) فما سنه أبو بكر أو عمر أو عثمان أو علي ، رضي الله عنهم ، فهو سنة ماضية نحن مأمورون باتباعهم فيها .

واتباعنا لهم في هذا هو من تحقيق اتباعنا للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأننا بذلك نعمل بوصيته .

يقول الشيخ عن أهل السنة والجماعة : (أنهم يؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس) ويقدمونه ويؤمنون بأنه أصدق الكلام .

وأن هدي الرسول صلى الله عليه وسلم خير ، هدي فيقدمون كلام الله على كلام غيره ، وهدي الرسول صلى الله عليه وسلم على هدي غيره ، لذلك سموا أهل الكتاب والسنة ؛ لتقديمهم كتاب الله وسنة رسوله ، لإيمانهم بأن القرآن هو أصدق الكلام ، وأن هدي الرسول صلى الله عليه وسلم هو خير الهدي ، كما جاء في خطبته عليه الصلاة والسلام ، إذ يقول : ((إن أحسن الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر

الأمور محدثاتها)) .

لذلك سموا أهل الكتاب والسنة ؛ لأنهم المستمسكون بهما ، المحكمون لهما ، الذين لا يقدمون عليهما معقولاً ولا ذوقا ولا استحسانا .

ويسمى أهل السنة أيضا بأهل الجماعة ، فهم أهل السنة والجماعة ، أهل الكتاب والسنة ، وهم أهل السنة والجماعة ؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وهم يجتمعون على الحق ، ويأمرون بالاجتماع ، عملا بقوله تعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

ويعملون بالإجماع ، إجماع الصحابة رضي الله عنهم ، يقول الشيخ : (والإجماع هو الأصل ــ الدليل ــ الثالث) فأصول الأدلة ثلاثة :

- الكتاب .
- والسنة .
- والإجماع .

والإجماع في الحقيقة دليل تابع للكتاب والسنة ، فهذه أصول الأدلة ، يقول الشيخ : (فأهل السنة والجماعة يزنون بهذه الأصول الثلاثة) الكتاب والسنة والإجماع ، (يزنون بها جميع ما عليه الناس) يزنون بها أقوال الناس ، وأفعالهم ، وأحوالهم ،(مما له تعلق بالدين)

هذه الأصول الثلاثة التي يجب أن توزن بها الأعمال ، والأقوال ، والأحوال ، والأخلاق .

وهذا هو الصراط المستقيم الذي أمر الله به باتباعه ، الاعتصام بحبل الله ، بدينه الذي بعث به رسوله ، بكتابه الذي أنزله ، بالحكمة التي أنزلها على محمد صلى الله عليه وسلم .

الاتباع للسلف الصالح من الصحابة ، الذين أثنى الله عليهم ، وعلى المتبعين لهم ﴿ **والذين اتبعوهم بإحسان** ﴾ .

فصـــل

ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة ، ويرون إقامة الحج والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً ، كانوا أو فجارا ، ويحافظون على الجماعات ، ويدينون بالنصيحة للأمة ، ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم : ((المؤمن للمؤمن كالبنيان

يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه)) وقوله صلى الله عليه وسلم : ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)) .

الشرح :

يقول الشيخ رحمه الله ــ ويعقد هذا الفصل الذي يختم به هذه العقيدة ــ لبيان منهج أهل السنة في معاملة الخلق ، في معاملة الناس ، وفي سلوكهم في أنفسهم ، ومع غيرهم .

يقول : (وهم مع هذه الأصول) مع هذه الأصول المتقدمة كلها من الأول ، إيمانهم بالله وصفاته مما جاء في الكتاب والسنة على التفصيل المتقدم وغيره ، وإلى إيمانهم باليوم الآخر بكل ما أخبر الله به في كتابه أو أخبر به رسوله وإيمانهم بالقدر ، وقولهم في الإيمان ، وقولهم في أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم على التفصيل المتقدم ، وكذلك اعتمادهم في الاستدلال على الكتاب والسنة والإجماع ، واقتفاء آثار السلف الصالح ، من الصحابة رضي الله عنهم

(مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف) يعني منهجهم ليس علميا فقط وعقيديا فقط ، يعني يعتقدون ذلك في أنفسهم ، ولا شأن لهم بالآخرين ، لا ،

هم مع هذه الأصول العقيدية ، هذه الأصول العظيمة القويمة ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، إذًا هم مصلحون .

يقول : (على ما توجبه الشريعة) لا على ما يوجبه الهوى والرأي المجرد ، فالمعتزلة عندهم من أصولهم الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، لكنهم يدخلون فيه الخروج عن الأئمة .

ومن الناس من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر دون أن يتقيد بحدود الشريعة ، فيفسد أكثر مما يصلح ، كما تقدمت الإشارة إلى هذا قريبا ، في الكلام على حديث بول الأعرابي في المسجد .

(على ما توجبه الشريعة) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الدين ، والأدلة عليه من الكتاب والسنة كثيرة ، وهو واجب عظيم ، به قوام الدين ، وقوام أمر المسلمين ، وما حل بهم من فساد في دينهم ودنياهم ، إلا لتفريطهم في أنفسهم فيما أوجب الله عليهم ، وتفريطهم في هذا الواجب ، الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

كما أن من طريقة أهل السنة والجماعة ، أنهم يقيمون شرائع الإسلام ، (الحج والجهاد والجمع والأعياد)، كلها يقيمونها مع الولاة ، (مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجارا) إذا كان القائد وأمير الحج فاجرا ، لا يتركون الحج من أجل فجور أميرهم ، فليكن ، ما دام الحج حقًّا فهم يتعاونون مع من قام بالحق ، فكل من أمرهم بالخير أجابوا ، وكل من قادهم بكتاب الله وسنة رسوله اتبعوه

(يقيمون الحج) خلافا لأهل البدع ، كالروافض ، الذين يرون أنه لا حج ولا جهاد إلا مع إمام معصوم ، والإمام المعصوم الذي يدعونه هو معدوم.

(يقيمون الحج والجمع والأعياد) يقيمونها مع الأمراء ، لا يتركون

الجمع والأعياد لكون الإمام فاسقاً أو فاجراً ، لا يعطلونها ، ولا يعطلون شعائر الإسلام .

كما أنهم يحافظون على الجماعات ، صلاة الجماعة التي استخف بها كثير من المسلمين ، والنصوص من الكتاب والسنة الدالة على وجوبها ، وعلى عظيم فضلها ، كثيرة ومشهورة مذكورة .

(ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم : ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا))) يعني يؤمنون بالرابطة الإسلامية ، هذه الرابطة التي قد وهنت في نفوس كثير من المسلمين ، وهذه الرابطة تعني الشعور بآلام وآمال المسلمين ، ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)) .

وجماع هذا قوله سبحانه : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ وهذه الإخوة لها حق ، تقتضي المحبة والمواساة والمشاركة في الآلام والآمال .

وما يكون من اختلاف وطن ، ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ وإن اختلفت أوطانهم وتباعدت ، واختلفت أنسابهم ، فلا يجوز الولاء والبراء على أساس الأرض ، هذا سعودي ، هذا مصري ، هذا يمني ، لا .

يجب أن يكون أساس الولاء هو الحب في الله والبغض في الله ، والروابط الجاهلية الآن ، هي التي يشاد بها وتذكر وينوه عنها ، ويتعلق بها الناس ويتعاملون على أساسها ؛ فإن التعامل بين أكثر الناس على أساس الروابط الجاهلية ، التراب الوطن الوطنية ، لا ، يجب أن تكون العلاقة التي يبنى عليها الولاء والبراء هو الدين ، فتحب المؤمنين ممن كانوا وأين كانوا ، وتبغض الكافرين ممن كانوا وأين كانوا ، ﴿ **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم**

الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ ولو كان أقرب قريب ، ﴿ **يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم** ﴾ [المجادلة : ٢٢] الآية .

قال المصنف رحمه الله تعالى :

ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء ، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم : ((أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا)) ، ويندبون إلى أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ، ويأمرون ببر الوالدين ، وصلة الأرحام ، وحسن الجوار ، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل ، والرفق بالمملوك ، وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق ، ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفسافها .

الشرح :

وهذه الجملة هي نوع تفصيل لما تقدم ، من أن من طريقة أهل السنة ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فالمعروف : اسم جامع لكل ما أمر الله به من الواجبات أو المستحبات ، فيأمرون بالواجبات على وجه الإلزام ، ويأمرون بالمستحبات على وجه الندب والترغيب .

فمن ذلك ، أنهم (يأمرون بالصبر عند البلاء) يأمرون بالصبر على المصائب والأقدار المؤلمة ؛ لأن هذا الذي أمر الله به ؛ فالله أمر عباده بالصبر : ﴿ **واصبروا إن الله مع الصابرين** ﴾ [الأنفال : ٤٦] ، ﴿ **والله يحب الصابرين** ﴾ [آل عمران : ١٤٦] .

(الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء) يأمرون بذلك ، ﴿ **إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور** ﴾ [إبراهيم : ٥] فالله أثنى على الصابرين والشاكرين ، وهذا شأن المؤمن : ((عجبا لأمر المؤمن ؛ لا يقضي الله قضاء

إلا كان خيرا له ، إن أصابته سراء فشكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)) .

(يأمرون ببر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والإحسان إلى اليتامى والمساكين) المستضعفين ، أي يأمرون بالإحسان إلى المستضعفين .

كما أمر الله بذلك ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم** ﴾ [النساء : ٣٦] .

فهم يأمرون بالإحسان إلى من أمر الله بالإحسان إليه ، الإحسان إلى اليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل .

(والرفق بالمماليك) ، والرفق بالخدم ، الخدم والعمال من جنس المماليك ، من حيث أنهم مستخدمون ، فيجب الرفق بهم والإحسان إليهم ، وعدم تكليفهم ما لا يطيقون ، وأداء حقوقهم ، وقد كثر الخدم عند الناس ، وكثيراً ما يتعرضون للظلم ، ممن هم تحت ولايته وكفالته ، فيجب التآمر بالرفق بهم والإحسان إليهم .

فأهل السنة ، هذا من منهجهم ، يأمرون بهذه الأوامر الشرعية ، وهذه الفضائل ، يأمرون بما أمر الله به ، وينهون عما نهى الله عنه ، يأمرون بحسن الخلق ، يأمرون ويعتقدون قوله صلى الله عليه وسلم : ((أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا)) فهم يتخلقون بالأخلاق الفاضلة ، ويأمرون بها غيرهم ، يأمرون بالأخلاق الفاضلة التي منها ما تقدم ، يأمرون بمكارم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال ، والأعمال الحسنة الجميلة .

(ويأمرون بمعالي الأخلاق) هذا قريب من الذي قبله ، يعني بالأخلاق

العالية ، الأخلاق الكريمة عالية فاضلة .

(وينهون عن سفسافها)ينهون عن رديء الأخلاق ، يأمرون بالإحسان ، بالجود ، بالصدقة ، ببذل المعروف ، بطلاقة الوجه ، بالسلام ، بعيادة المريض ، يأمرون بهذه الخلاق .

(وينهون عن سفسافها) عن رديء الأخلاق وحقيرها ، عن البخل ، عن الجبن .

(ينهون عن الفخر والخيلاء) ينهون عن التفاخر ، قال عليه الصلاة والسلام : ((إن الله أوحى إلي أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد)) .

فأهل السنة ينهون (عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة) البغي عليهم ، يعني بظلمهم في أنفسهم أو أموالهم ، والاعتداء عليهم بذلك ، والاستطالة ، يعني التطاول والتعاظم على الخلق بحق أو بغير حق ، حتى وإن كان لك حق على فلان ، فلا تتطاول عليه ، ولا تتسلط عليه ؛ لأن التطاول فيه تعاظم وتسلط .

قال المصنف رحمه الله تعالى :

وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة .

وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم ، لكن لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة ، وفي حديث عنه أنه قال : ((وهم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) ــ صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى أولو المناقب المأثورة والفضائل المذكورة .

وفيهم الأبدال ، وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ، و هم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة)) .

فنسأل الله أن يجعلنا منهم ، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، وأن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

الشرح :

يقول الشيخ : أن أهل السنة في كل ما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به هم فيه متبعون (متبعون للكتاب والسنة) ، يأمرون بما أمر الله به ، وما أمر الله به رسوله ، وإنما ينهون عما نهى الله ع نه ورسوله ، فهم في كل ذلك متبعون ، لا مبتدعون ، ولا متبعون لأهوائهم .

.....

ويقول الشيخ : (وطريقتهم) ، وطريقتهم كما تقدمت الإشارة إلى هذا إجمالا ، وهذا إجمال تام لما سبق ،طريقتهم إذاً هي دين الإسلام .

طريقة أهل السنة والجماعة هي (دين الإسلام الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم) ، ودين الإسلام هو الجامع لكل العقائد الصحيحة ، والعلوم النافعة ، والأعمال الصالحة ، كما قال تعالى : **﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾** [التوبة : ٣٣] .

(طريقتهم هي دين الإسلام) والمنتسبون إلى الإسلام كثير ، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن هذه أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار ، كما صح بذلك الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام ، قال : ((كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة)) وفي اللفظ المشهور ، قيل : من هي يا رسول الله ؟ ، قال : ((وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي))

فكل هذه الفرق تنتسب إلى الإسلام ، فمن الفرقة الناجية ؟ الفرقة الناجية هي الفرقة المستمسكة (بالإسلام المحض الخالص) .

لما كانت الأمة الإسلامية فرقاً كثيرة ، وفي هذا علم من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ، فقد أخبر عن افتراقها ، ووقع كما أخبر .

يقول الشيخ : (صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص) الإسلام الخالص الذي لم يخلط بالبدع الاعتقادية أو العملية ، (المتمسكون بالإسلام المحض) هم أهل الكتاب والسنة ، هم الفرقة الناجية المنصورة ، المتمسكون بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام خالصا عن الشوب ، خالصا عما وقعت فيه الفرقة المنحرفة عن هذا الصراط ، هم أهل الكتاب والسنة .

.....

وهذه الفرقة درجات ليسوا على مرتبة واحدة ، بل هم على مراتب كثيرة ، طبقات .

الأولياء إجمالا طبقتان ، الأولياء هم طبقتان :

١ ــ مقربون . ٢ ــ وأصحاب يمين .

أو ١ ــ سابقون . ٢ ــ ومقتصدون .

فالمقربون السابقون : هم الذين فعلوا الفرائض ، فعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات والمكروهات ، وفضول المباحات .

والمقتصدون : هم الذين أدوا الواجبات ، واجتنبوا المحرمات ، هؤلاء مقتصدون .

إذاً أولياء الله ، هم طبقتان :

مقربون وأبرار ، أو إن شئت قل مقربون وأصحاب يمين ، فهكذا جاء التعبير عنهم في القرآن ، اقرءوا قوله تعالى : ﴿ **إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا** ﴾ [الإنسان : ٥ــ ٦] ، واقرءوا قوله تعالى:﴿ **إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون** ﴾ [المطففين : ٢٢ ــ ٢٨] .

فأهل السنة والجماعة ، هم على مراتب ، (فيهم الصديقون والشهداء والصالحون) الصديقون هم أعلى طبقات الأولياء بعد الأنبياء ، كما قال سبحانه : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا** ﴾ [النساء : ٦٩] .

والصديق : هو المبالغ في الصدق ، أو هو كثير الصدق ، كثير الصدق والتصديق ، والصديق المطلق في هذه الأمة هو أبو بكر ، هو صديق هذه الأمة ، لكن هذا لا ينفي وصف الصديقية عن غيره ، لكنه صار هذا الوصف علماً عليه ، الصديق ، وإلا فالصديقية ليست مقصورة عليه .

(فيهم الصديقون والشهداء والصالحون ، وفيهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى) يعني في هم الأئمة الذين يهتدى بهم ، مشبهون بالأعلام ، وهي الجبال والعلامات التي يهتدى بها ، علامات الطريق ، (أعلام الهدى ومصابيح الدجى) التي يستضاء بها في الظلام وفي حنادس الظلام ، ففي أهل السنة أئمة هداة ، أئمة يهدى بهم في علمهم وعملهم ، على مراتب ، ففيهم أئمة متبعون ، وعباد صالحون تابعون أئمة الهدى ومصابيح الدجى ، وفيهم .وفيهم.

الصحابة فقد سبق الحديث عنهم ، وأنهم مفضلون تفضيلا مطلقاً على من بعدهم ، نعم ، والتابعون لهم بعد ذلك ، هم أهل السنة والجماعة الذين لزموا الأصول المتقدمة واقتفوا آثار الصحابة ، اقتفوا آثار السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، فهؤلاء على مراتبهم ، تابعوهم وتابعوهم ، وتابعوهم إلى يوم القيامة .

يقول الشيخ : (وفيهم الأبدال) وهذا اللفظ ورد في بعض الأحاديث ، ولكن ذكر شيخ الإسلام وغيره أنه لم يصح في الأبدال حديث ، يعني في عدد الأبدال ، وأما معنى الأبدال فهو واقع .

(فيهم الأبدال) ، ومعنى الأبدال: العلماء والعُباد ، العلماء العاملون ، والعُباد الصالحون الذين يخلف بعضهم بعضا ، كلما مات عالم قام بدله ، وكلما مات عابد خلفه من بعده ، هؤلاء أبدال ، والله سبح انه وتعالى كما جاء في

حديث : ((لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم فيه بطاعته)) لا يزالون ، فالصالحون والأئمة لا يزالون ، وإن كان في آخر الزمان يقل العلم ، ويثبت الجهل و ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الرجال وإنما يُقبض العلم بموت العلماء)) ولكن هذا لا يعني أنه ينقطع وينقرض ، ولكن يقل العلم ، فحجة الله قائمة على عباده إلى أن يأتي أمر الله تبارك وتعالى .

ولهذا ينبه الشيخ إلى هذا المعنى بقوله:(إن هذه الطائفة لا تزال باقية) كما أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام .

فأهل السنة والجماعة المتمسكون بالإسلام المحض ، وعندي أن مفهوم أهل السنة والجماعة أوسع من مفهوم الفرقة الناجية ؛ فالفرقة الناجية المنصورة ، هم أهل السنة والجماعة ، لكن أهل السنة فيهم الظالمون لأنفسهم ، فهم طبقات :

سابقون ، ومقتصدون ، وفيهم الظالمون لأنفسهم ، كما قال تعالى :

﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق للخيرات بإذن الله ﴾ [فاطر : ٣٢] .

لكن المتمسكون بالإسلام المحض علما وعملا ظاهرا وباطنا ، هم الفرقة الناجية المنصورة ، التي أخبر بها الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأخبر أنها لا تزال ، في قوله : ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق)) (لا تزال) هذا يدل على الاستمرار ، ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق)) يعني جنس هذه الطائفة لا يزال وإلا فهي أجيال ينقرض بعضها ويخلفهم آخرون ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم

ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة)) ، وفي لفظ ((حتى يأتي أمر الله ــ تبارك وتعالى ــ)) والساعة هنا فسرت بقبض أرواح المؤمنين في آخر الزمان عند قرب قيام القيامة الكبرى ؛ فإنه تعالى يرسل ريحا فتقبض أرواح المؤمنين فتخلو الأرض من الخير ولا يبقى في الأرض إلا شرار الخلق ، وعليهم تقوم الساعة .

فهذه طائفة مستمرة إلى أن يأتي أمر الله تبارك وتعالى ، ويأتي الأجل الذي قدره الله لبقاء هذا الدين ، وبقاء حملته .

فنسأل الله ــ كما قال الشيخ ــ نسأله سبحانه وتعالى ، أن يجعلنا وإياكم بمنه وكرمه من هذه الطائفة ، وأن يثبتنا على دينه ، وأن يرزقنا الاستقامة على الحق ، وأن يجعلنا هداة مهتدين غير ضال ين ولا مضلين ، ونسأله تعالى أن يعصمنا وإياكم من مضلات الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ، والحمد لله رب العالمين أولا وأخرا .

وعندي أن مفهوم أهل السنة والجماعة أوسع من مفهوم الفرقة الناجية ، والله هذا الذي يظهر لي ؛ لأنهم من يصدق عليهم أنهم من أهل السنة ، فيهم العصاة والظالمون لأنفسهم ، وهذا لا يجعلهم من أهل البدع ؛ لأن أهل السنة هذا الاسم يتناول من يسير على هذه الأصول .

وأهل السنة فيهم على مراتب ، هذا هو الذي يظهر لي ، فالفرقة الناجية المنصورة لا ريب أن هؤلاء هم المستمسكون بالإسلام المحض ، كما قال الشيخ ، وأهل السنة والجماعة ــ بالمفهوم التام ــ هم المستمسكون بالإسلام المحض علما وعملا ، ظاهرا وباطنا .

لكن أهل السنة يدخل فيهم من يكون ظالما لنفسه ببعض المعاصي ، ولو

كان ارتكاب بعض المعاصي يخرج من هذا المفهوم ، لكن كثير ممن ينسبون ويعرفون من أهل السنة ليسوا من أهل السنة والجماعة ، إذاً ماذا يكونون ؟ فعندي أن بين أهل السنة والجماعة ولفظ الفرقة الناجية والمنصورة ، من الفرق كما بين الإسلام والإيمان ، على ما هو معروف ، إن الإسلام أوسع دائرة ، فللإسلام يتناول مختلف الطبقات ، وهو أوسع دائرة ، فكل من كان على اعتقاد أهل السنة في التأصيل من حيث الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر ، فيؤمن بأسماء الله وصفاته على ما تقدم ، ويؤمن بالقدر على ما هو مقرر ، كذلك في الإيمان وفي أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، في المسائل الخمس ، فهو من أهل السنة .